توظيف الأدب في جهود أبي الحسن النَّدْوي الدعوية

محمد بن حسن الزير

جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية – الرياض

مقدمة :

ظل أبو الحسن النَدْوي، رحمه الله، وهو الأديب الأريب، الألمعي، البارع في ألسنة عديدة، في مهارة ونبوغ، ظل الجندي الشاكي السلاح دائماً، مجاهداً بما وهبه الله من علم وبيان، لا يضع أبداً سلاحه البياني، سلاح اللسان والقلم؛ فلا يكاد يفرغ من معركة بيانية، في هذا الجهاد المستمر الطويل، حتى يدخل في أخرى، يحمل مشعل الحق والهداية، وضاء صريحاً، وهي معارك لا انكسار فيها ولا انهزام، وإنما هي معارك مظفرة دائماً.. غالبة دائماً؛ لأنها معارك الحق.. والحق غالب.. وتستهدف العدوّ الباطل.. والباطل دائماً مغلوب : ﴿ وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴾ [الإسراء/٨١] .

نعم ظل فارس الكلمة والبيان، أبو الحسن، مجاهداً لا يترجل، شجاعاً لا يهاب، جريئاً في قولة الحق، لا تلين لها قناة، ولا يستكين له جنان؛ ألم يقل الرسول ﷺ : «إن المؤمن يجاهد بسيفه ولسانه» ؟ !

وفي هذه الصفحات، جولة سريعة وسط هذا الجهاد البياني البليغ الذي قدمه سماحة الشيخ أبو الحسن النَدْوي – رحمه الله رحمة واسعة – طيلة ما يقارب الثمانين عاماً ؛ أي منذ أن كان في الثامنة من عمره إلى أن أسلم الروح إلى بارئها، تلك الثمانين التي ظل فيها مجاهداً بلسانه وبنانه، قائماً – كما قال هو نفسه – بـ «استخدام القلم لتحقيق الأهداف النبيلة السامية، وتقديم الأدب كأداة للبناء والإصلاح، لا كأداة للتدمير والإفساد»[١] .

رحمك الله يا أبا الحسن .. وطبت .. وطاب ثراك .

تمهيد : بيئة دعوية وأدبية :

تهيأ للشيخ أبي الحسن الندوي منذ نعومة أظفاره أن ينشأ في أحضان بيئة دعوية أدبيّة في الوقت نفسه؛ وهما ملمحان في هذه البيئة أثّرا في تكوينه جنباً إلى جنب، وسايرا نشأته وأثّرا في شخصيته، وأصبحا جزءاً من حياته، لازمه إلى النهاية.

فأسرته في الأصل حملت لواء الدعوة والجهاد في سبيلها بالبيان والسنان، وبيته الذي ينتمي إليه بيت علم ودعوة منذ قديم، وجد هذه الأسرة «السيد قطب الدين محمد المدني» ذلك الولي من ذرية الحسن بن علي رضي الله عنهما، قد رحل إلى الهند في أوائل القرن السابع الهجري، وحلّ بها مع جماعة كبيرة من أصحابه داعيةً مجاهداً، وقد بارك الله في ذريته من بعده، وكثر فيها العلماء والمربون والمجاهدون[٢] ، وتبنوا الدعوة الإسلامية وقادوا الحركات الدينية في أزمان مختلفة، كان أشهرهم في القرن الحادي عشر الهجري العارف الكبير والمربي العظيم السيّد علَم الله بن السيد فُضيل الحسني (م ١٠٩٦هـ)[٣] مؤسس الأسرة الحسنيّة ومنشئ المركز الديني التربوي الكبير في «رائي بريلي» في آخر القرن الحادي عشر الهجري التي لا تزال موطن هذه الأسرة الرئيس الأكبر في شبه القارة الهندية، وكثر في ذريته العلماء المربُّون الذين دَعوا إلى العقيدة الصحيحة والتمسك بالسنة السّنيّة ، والرّبانية الصافية، وإعلاء كلمة الله وإدالة الدين والمسلمين من القوات المحاربة للإسلام والشريعة المطهرة[٤] .

ومن أشهر عظماء هذه الأسرة السيد الإمام أحمد بن عرفان الشهيد، الذي قاد حركة الدعوة والجهاد ، وأسس حكومة على منهج الخلافة الإسلامية الراشدة في الحدود الشمالية الغربية للهند، وقد استشهد على أيدي السيخ في معركة (بالاكوت) في ٢٤ من ذي القعدة ١٢٤٦هـ من أجل إجلاء الإنجليز وتأسيس الحكومة الإسلامية[٥].

وكان جده السيد (فخر الدين بن عبد العلي) ، أحد نابغي هذه الأسرة ومؤلفيها الكبار، الذي ألّف كتباً كثيرة، وكتب دواوين شعرية متعددة، ومثله ابنه والد أبي الحسن السيد عبد الحي الحسني العلامة الشهير، مؤلف كتاب «نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر» في تراجم علماء الهند وأعيانها، في ثمانية أجزاء وكتاب «الهند في العهد الإسلامي» وكتاب «الثقافة الإسلامية في الهند» إلى غير ذلك[٦] .

وأما أسرته المباشرة التي نشأ في أكنافها، وترعرع في ظل توجيهاتها ورعايتها، فقد كانت امتداداً لذلك الجو الديني العلمي المفعم بالحماسة الدينية في ظل منابع العلم والمعرفة؛ فقد نشأ الطفل أبو الحسن في بيت سيد عالم كبير، صاحب مكتبة عامرة وكان إماماً للمسجد ، وظل يعظ ويذكر بعد صلاة الجمعة أعواماً عديدة[٧] ، وكان لخاله الحافظ السيد عبيد الله الأثر الأول في ثقافته ، وتربيته الخلقية والعقلية، وشاهد في طفولته خمساً من نساء الأسرة الحافظات للقرآن الكريم، والملتزمات بإقامة صلاة التراويح، وكانت والدته من النساء الحافظات لكتاب الله[٨]، ويقول عنها أبو الحسن : «وكانت تقرأ في صلاة التراويح إماماً، وكنت أتسمع لها ، فأحس بقراءتها ، كأنّ سحابة تمطر مطراً منعشاً، قراءة مرتلة بمخارجها الصحيحة، مع الحدر الجميل، والرقة واللطف ولوعة الأنوثة ، نور على نور[٩]» ، كما يقول عن تأثير والده : «ولم تزل أسرتنا، أسرة العلماء والمؤلفين، فقد كان الوالد من كبار المؤلفين في عصره، وللبيئة والوراثة تأثير كبير لا ينكر، ولا يزال يتنقل هذا التأثير من جيل إلى جيل، ويطبع الصغار والكبار، والبنين والبنات بطابعه في قليل أو كثير، فكان الطابع الوراثي، وذوق الوالد وانهماكه في الكتب كغاشية أو سحابة تغشي المحيط المنزلي، وتظلل على الأسرة كلها، وقد تجاوز هذا التذوق إلى الحب الشديد للقراءة وإدمانها، بل إلى حد أن أصبح هواية، فما أن وقع بصرنا على كتاب مطبوع إلاّ تلقفناه، وأتينا عليه قراءة ومطالعة، وكل ما يقع بأيدينا من النقود لمصروفاتنا الصغيرة، أو إذا زارنا أحد الأقرباء وأهدى إلينا عند عودته شيئاً من الروبيات – كما كانت العادة في الأسرة إذ ذاك – فكان أحب مصرف لدينا لهذه النقود شراء الكتب[١٠]»، فكان شغوفاً بالقراءة، وكوّن له مكتبة صغيرة ، وتشاركه أخته في قراءتها، وهي كتب ورسائل صغيرة بالأردية فيها المنثور وفيها المنظوم عن السيرة النبوية ، يقول عن تلك الفترة وتأثيرها عليه : «وقرأت في تلك الفترة كتباً ورسائل صغيرة بالأردية في السيرة النبوية على صاحبها السلام ، فنفذت في القلب والعقل وقرّت منهما في قرار مكين ، ولا أتذكر أسماءها الآن، إلا أن الذي أذكره أن قراءتها أنشأت فيّ رغبة حسب عادة الناس في ذلك الزمن أن أعقد جلسة في السيرة النبوية أو احتفالاً بالمولد النبوي[١١] ، فدعوت الأطفال الصغار مثلي ومن أترابي، ودُرت لأجل ذلك على بيوتهم واحداً واحداً ، ولاثت إحدى أختيّ عمامة صغيرة على رأسي، وكنت لم أتجاوز الثامنة من عمري ، وأخذت كتاباً من تلك الكتب المجموعة عندي، وقد كانت معرفتي وعلمي بالموضوع بحيث كنت أدعو سيد قريش وجد نبينا محمد ﷺ عبد المطلب ، بعبد المطّلَب بإسكان الطاء وفتح اللام ، وكان الوالد رحمه الله – قد وقف بجانب من هذا المجلس يسمع ابنه وهو يقرأ من هذا الكتاب ، ولا تسأل عن موجة الفرح التي كانت تغمر جوانبه، فقد رزقه الله تعالى حظاً وافراً من حب النبي»[١٢] .

وإذا كان والد أبي الحسن قد مات – رحمه الله – وهو طفل في سن التاسعة وبضعة أشهر، فقد تولّى مسؤولية رعايته وتربيته أخوه الأكبر السيد عبد العلي الحسني[١٣] ، إلى جانب عناية أمه به واهتمامها بتحفيظه السور الطويلة من القرآن الكريم[١٤] ، وتأتّى له في ظل هذه البيئة أن ترعرع مع نمو سني عمره، نمو عاطفي ديني، ونمو معرفي علمي وأدبي، فواصل الدراسة والتحصيل، وتلقى مزيداً من العلم والمعرفة ، وتعلّم اللغة الفارسية والإنجليزية والعربية إلى جانب الأردية، وعهد أخوه بتدريسه العربية إلى أحد أصدقائه، وهو أستاذ اللغة العربية، الشيخ (خليل بن محمد بن حسن بن محسن الأنصاري اليماني) أواخر عام ١٩٢٤م ، فاعتنى به عناية فائقة ، وكانت دراسته كما يقول الشيخ «على قدم وساق» واجتهد في تعليمه وتدرّج من الكتب الابتدائية وكتب القراءة والمطالعة وكتاب «كليلة ودمنة» وهو مجموعة من النظم والنثر للحفظ والتسميع، مع الإلزام بالكلام بالعربية، ثم ترقّى بعد ذلك إلى الكتب القديمة المهمة مثل: «نهج البلاغة» و «مقامات الحريري» و «دلائل الإعجاز» و «القصائد العشر»[١٥] . وقد كان لهذا أثر كبير فيما وفق إليه أبو الحسن من إتقان اللغة العربية وتذوّق آدابها، وأبو الحسن يشعر بأن ذلك من التوفيق الذي أسهم في تمكينه من خدمة العلم والدين[١٦]، كما شعر أيضاً أنه من حسن حظه أنه في الوقت نفسه الذي كان يدرس العربية، كان يقرأ في اللغة الأردية وآدابها كتباً تعد في القمة؛ ذلك «أن الدعاة والعلماء الذين لا تسع لهم الفرصة في سنيهم المبكرة لدراسة لغة البلاد وآدابها والتذوق لها، أو يطالعوا كتبها في الكبر، يواجهون صعوبة كبيرة في القيام بدعوة مؤثرة، وتفسير المفاهيم الدينية وتعليمها، وشرح الفكرة الإسلامية وغرس المقاصد والأهداف الدينية في نفوس الطبقة المثقفة بالثقافة العصرية، وتخلو كتاباتهم وإنشاؤهم من القوة والتأثير والروعة والجمال الذي لا بدّ منه في هذا العصر[١٧]» .

وقد التحق عام ١٩٢٧م بقسم آداب اللغة العربية بجامعة لكهنؤ[١٨] ، وعمره آنذاك لم يتجاوز الرابعة عشرة، وحصل منها على شهادة (فاضل أدب في اللغة العربية وآدابها)[١٩] . والتحق بدار العلوم عام ١٩٢٩م[٢٠]، ودرس الحديث الشريف ، وفي التحاقه بهذه الدار طالباً تواصل لتلك البيئة التأسيسية في تكوينه الدعوي والأدبي، إذ هي في الأصل مؤسسة علمية دعوية، تعنى بالإيمان والسلوك القويم في الوقت الذي تعنى بالأدب وتقويم اللسان، وفي هذا السبيل يقول محمد الرابع الندوي[٢١] : «وقد اعتنت دار العلوم في ندوة العلماء بتعليم اللغة العربية أيضاً كلغة حيّة علمية كتابة وخطابة وحواراً ، وكان ذلك مما سبقت به ندوة العلماء شقيقاتها في شبه القارة الهندية ، وهي أداة مهمة لخدمة الدعوة الإسلامية، ولاستقاء الروح والهداية من المنابع الأصلية، تؤيد هذه الفكرة آية : ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلاَّ بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ﴾ [٢٢] .

وفي هذا السياق أيضاً يقول شيخ العربية وأديبها علي الطنطاوي – رحمه الله – : «ولأبي الحسن والنَّدْويين عناية بالأدب والدعوة لا تكون إلا باللسان والقلم، وقوام اللسان والقلم الأدب، وإذا كان من الأدباء الذين يعرفون اليوم بالإسلاميين من يكتب ويقول غير ما يعمل ... فإن أبا الحسن وجماعته ملتزمون بالإسلام قولاً وعملاً، كتابة وسلوكاً، يعمل ما يعمل ابتغاء رضا الله لا رضا الناس ..»[٢٣] .

إن أبا الحسن – رحمه الله – وقد تقلّب في رحم هذه البيئة الدعوية الأدبية، وتنشّأ في أحضانها طفلاً وفتى، ومتعلماً ، وعالماً طيلة حياته المباركة، أصبح الداعية الأديب ، والأديب الداعية بحق ، ولئن كان ياقوت الحموي قد قال ذات يوم عن التوحيدي بأنه أديب الفلاسفة وفيلسوف الأدباء؛ فإننا اليوم نقول عن أبي الحسن بأنه «داعية الأدباء وأديب الدعاة» رحمه الله رحمة واسعة .

ملكة أدبية وعاطفة قوية :

يجد القارئ لآثار أبي الحسن المكتوبة أو المستمع لأحاديثه ومحاضراته أنه أمام موهبة أدبية، وملكة بيانية، تفرض تأثيرها على المتلقي ، بما تتسم به هذه الملكة من قدرة لغوية ، ومما تتمتع به من طاقات تعبيرية لافتة، وهذا الجانب الأدبي في كتابات أبي الحسن جانب ظاهر بيّن ، عبّر عنه كثير ممّن كتب عنه ، أو درس حياته وأدبه[٢٤] .

وهذه الموهبة الأدبية العالية ، تعكس حسّاً ذوقياً راقياً لمواطن الجمال الأدبي، وتجاوباً ذاتياً مع أصداء تكوينه الأدبي والروحي، الذي أتيح له أن يتلقى مؤثراته وأسبابه خلال سنيّ حياته الأولى وما تلاها .

وقد كانت مدرسة والده التاريخية ممثلة في تلك الموسوعة العلمية الأدبية التاريخية التي خلفها بعنوان : «نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر» في ثمانية أجزاء، وتعنى بتراجم علماء الهند وأعيانها، وما حفلت به من قصص الدعاة والمصلحين، كانت أحد المؤثرات الفاعلة في أسلوبه وأدبه ، وعن هذا المؤثر يقول الشيخ أبو الحسن : «وتأثرت في الكتابة الأردية أولاً بأسلوب الوالد رحمه الله التاريخي والأدبي، الذي هو نموذج جميل لكتابة متينة رصينة، يحمل مع جدية التاريخ ودقته ، رونق اللغة ورواءها، وقد تجلّى أثر تقليد هذا الأسلوب في مقالي الأول في أوردو كان عنوانه : «الأندلس »[٢٥] «كما تأثر بكتاب «رحمة للعالمين» للقاضي محمد سليمان المنصور فوري، بل كان من أكثر الكتب تأثيراً فيه[٢٦] .

ولا يمكن للناظر إلى هذه الملكة الأدبية عند أبي الحسن، أن يتجاهل التاثير العميق، والتحريك الفاعل لهذه الموهبة، الآتي من صلة الشيخ أبي الحسن بأشعار محمد إقبال وأثرها الأدبي والروحي فيه[٢٧] ، يقول الندوي عن هذا التأثير : «... ولكن لما وقع بصري على شعره الأخير في «ضرب كليم» تفتحت عيني ، وسحرني شعره، وسمو فكره، ثم لما قرأت «بال جبريل» زاد إعجابي وتأثري، فقد وجدت فيه سمو الأفكار، جمال النغمة وحلاوة الجرس، وقرأت دواوينه الشعرية الأخرى في الفارسية ، تأثرت به عقليتي وتفكيري وقلبي تأثراً لا أعرفه – في حدود الأدب والشعر والفكر الإسلامي القوي – بأي شخصية معاصرة أخرى .

« ... وكنت أشعر بسماعها أو قراءتها كأنها خواطر عالم آخر وأفكاره، وأن علاقتها ليست بالعلم والذكاء وسعة المطالعة وكثرة المعلومات، إنما هو فيض ربّاني ، ورشحة من الرشحات العلوية، إنها عبقرية لا تدين للذكاء وسعة العلم وقوة التعبير ، وإنما هي هبة من هبات الله التي لا نهاية لها»[٢٨] .

كما كان لأستاذه الشيخ (محمد إلياس)[٢٩] أثره البالغ فيه ، إذ دخل الشيخ بعد لقائه به مرحلة دعوية جديدة ، تعتمد على الخطابة المباشرة ، والارتجال ، واعتلاء المنابر بصورة متواصلة مثابرة، ما أتاح لمواهبه الأدبية ، وقدراته البلاغية أن تنطلق ، وأتاح لملكاته التعبيرية أن تفيض على لسانه، كلاماً عذباً جميلاً ، أخاذاً.

وقد عبرّ أبو الحسن عن إعجابه بالشيخ وعمله حين قال : «وأعجب ما رأينا في هذه الرحلة وأغربه، والذي غمرنا بالسرور الخالد والغبطة الكبيرة ، هو عمل الشيخ محمد إلياس الدعوي، ونظامه التبليغي في منطقة ميوات . إن ما شاهدناه هناك بأعيننا لم يكن مشهداً من مشاهد القرن العشرين، بل كان مشهداً يخيّل إليك كأنه من التاريخ الإسلامي الأول، من إصلاح وتجديد، وتغير جذري في الأحوال والسلوك والأخلاق، وما كنا قرأناه في تاريخ المسلمين الجدد الذين كانوا يدخلون في الإسلام في القرن الأول من قصص حماسهم وعواطفهم وتذوقهم للإيمان وشغفهم بالدعوة إليه ، وما رأينا من نماذج في كتب السيرة والتاريخ الإسلامي ، رأينا أمثلته الحية ، ونماذجه المتحركة»[٣٠] .

ومن هنا بدأ عمله الدعوي، إثر عودته من ذلك اللقاء، في نواحي لكهنؤ وما جاورها من القرى، على المنهج نفسه الذي رآه في ميوات ، وكان يقوم بالدعوة وسط الطبقة المتخلفة، وأحياء الفقراء والمساكين ، توعية لهم بدينهم، وإثارة لشعورهم الديني، وجذوته الإيمانية في نفوسهم ، وكان يكتب بشأن ذلك تقارير مختصرة إلى شيخه (محمد إلياس) الذي كان يرد عليه برسائل تثير في نفسه الحماس والثقة[٣١] .

ويحدثنا أبو الحسن في هذا السياق عن صورة من صور تلك الخطابات المنبرية المرتجلة وأثرها في الخطيب، وأثرها في السامعين؛ ذلك أنه دعي عام ١٩٤٤م من مجلس السيرة ببيشاور لإلقاء خطاب في احتفالها للسيرة النبوية وأنه سرّ بذلك، وأخذاً بالاحتياط كتب مقالاً حول السيرة، وأعده ليقرأه في ذلك الاحتفال، لكنه علم من أحمد المنظمين أن المحاضرات المقروءة لا تناسب الاحتفالات العامة ولا تؤثر في الجماهير، فقرّر ترك ذلك المقال المكتوب ليتحدث إلى الناس مباشرة، يقول – رحمه الله – : «فتوكلت على الله، وبدأت بالخطاب المرتجل، كانت نقطته المركزية هو دعاء الرسول ﷺ في وقعة بدر، الذي غيّر خارطة العالم وتيار التاريخ، وقضى بخلود الأمة المسلمة ورقيها وازدهارها، وهو قول الرسول ﷺ وهو يناجي ربه : «اللهم إن تهلك هذه العصابة لن تعبد» فقلت: إن هذا هو الأساس الذي قامت عليه الأمة الإسلامية، فلما قيل هذا الدعاء ، وانتصرت الفئة القليلة المشتملة على ٣١٣ شخصاً على كثرة الكفّار الذين كانوا ألف مقاتل ، فقد صدق وقرر، أنه هو شعار الأمة الدائم ، ورسالتها الخالدة ، وأهميتها وفائدتها، هو الشرط الأساسي في حياتها ونجاحها، وقد عُرفت به هذه الأمة في عهد النبوة ، وعلى أساسه قامت قريش ضدّها قومة رجل واحد، ورفعت لواء حرب عضوض طاحنة .

ثم قارنت بين ماضي هذه الأمة وحاضرها، وقلت : لو عاد قتلى بدر وأحد اليوم إلى الحياة، وقالوا للمسلمين: أين ذهبت ميزتكم، وهدفكم في الحياة الذي زعمتم أنكم بعثتم لأجله، وأي فرق بيننا وبينكم في حب الدنيا، وطلب اللذات والمسرّات ، والرّاحة والدّعة، ومخالفة المبادئ وموت الضمائر ، فبماذا نجيبهم ونرد عليهم ؟

ولا أدري من أين كانت تنهال عليّ المعاني، ومن أين جاءتني تلك القوة والطلاقة في اللسان حتى كنت أنا أيضاً أجري في كلامي، واندفع في تيار المعاني، وكان الجمع في تأثر وإعجاب غامر، وانفعال عجيب، وقد ذكر بعض المشاهدين أن السردار عبد الرب نشتر[٣٢] كان قد غطّى وجهه بمنديله من شدة وجده وبكائه، ولما انتهى الخطاب جاء عدد من الأفغان وقالوا : بم تأمر؟ مرنا بما تشاء فنحن في خدمتك»[٣٣] .

ولا شك أيضاً في أن هذه الملكة الأدبيّة تأتّى لها فرصة ممتازة في أن تنضج وتتطور، من خلال ما أتيح لأبي الحسن، في تاريخ تجربته الأدبية، من أن يمارس التدريس في دار العلوم، فقد اختير مدرساً للتفسير والأدب العربي[٣٤]، مما أتاح له أن يتعمق في دراسة نصوص الأدب العربي وتدريسها ، ومكنه من الاستفادة مما يرد إلى الدار من صحف ومجلات عربية، وعرّفه بالبلاد العربية، وأحوالها، وعلمائها، وأدبائها، ودعاة العرب ومفكريهم وقادتهم[٣٥] ، فمنح ذلك التدريس تجربته الأدبية تألقاً وانصهاراً في أجواء من الروح العلمية والمنهجية.

وقد كان أبو الحسن سعيداً راضياً بأن تكون حصّة تاريخ الأدب العربي من نصيبه بصورة مستقلة، وقد صرّح بذلك في قوله: «ولعل حصة تاريخ الأدب العربي كانت من نصيبي بصورة مستقلة بعد عام، وكان «تاريخ الأدب العربي» لأحمد حسن الزيات ، مقرراً في الصف السابع (السنة العالية الأخيرة) وكان هذا أحب موضوع لدّي وأرضاه، فدرّست هذا الكتاب باستمرار عدة سنين»[٣٦].

فصار أبو الحسن بأسباب تلك الظروف والمؤثرات والملابسات التي صادفته في تاريخه العلمي والأدبي أديباً ضليعاً في اللغة العربية، متشبعاً بعلومها وآدابها، قارئاً لكتبها، مطلعاً على مصادرها، حافظاً ومتذوقاً لكثير من نصوصها الشعرية والنثرية، موفقاً أحسن ما يكون التوفيق في استشارتها والاستشهاد بها في مواطن الاستشهاد المناسبة في كتاباته ومحاضراته التي يقدمها بالعربية الفصحى[٣٧] .

وصارت العربية اللغة الأثيرة لديه من بين ما يتقنه من لغات، وصار شديد العناية بآدابها، وتاريخ آدابها[٣٨] ، ومتذوقاً لنصوصها القرآنية والنبوية وغيرها، قادراً على الحكم النقدي المتسم بالحس الأدبي ، والنضج الموضوعي.

ومن هنا وجدناه يقدّم نظرات أدبية متعمقة ، ونقدات صائبة، وأحكاماً عادلة[٣٩]، اتجّه بها إلى الأدب الإسلامي والعربي، وإلى مؤرخي الأدب في جنايتهم على هذا الأدب ، حيث ركزوا على جوانب محدودة منه، اتصفت بالرسمية، أو على فئات من الأدباء الذين غلب عليهم التكلف والصنعة، وأهملوا كثيراً من النماذج الجميلة النابعة من الطبع الأصيل المتجاوب مع روح الأدب العربي وذوقه وسماته[٤٠] .

وبسبب هذه الملكة، التي تهيأت لها أفضل الظروف الموضوعية للبروز، تمكن من أن يتفطن إلى بعض المضامين الخاصة، التي احتوتها بعض الاستخدامات الأدبية من بعض النصوص العربية التي لم تكن محل اهتمام مؤرخي الأدب، ولا محل عنايتهم، من مثل توقفه الأريب اللبيب عند قصة ربعي بن عامر – رضي الله عنه – وتحليله لمضامينها، وهي لفتة ذكية عميقة تكشف عن روح الناقد الأصيل الذي ينفذ إلى جوهر النص التي يتمتع بها أبو الحسن، وهذه مسألة توقف عندها كثير من دارسيه، ومحللي أدبه ونقده من أمثال يوسف القرضاوي[٤١]، ومحمد رجب البيومي[٤٢] ، ومحمد اجتباء الندوي[٤٣] .

وكما أن أبا الحسن متمكّن من العربية متفوق فيها، فإنه متمكن من اللغة الأردية، وهو كما شهد له أديب العربية الطنطاوي : «متمكن من اللسانين ، أديب في اللغتين ..»[٤٤] وله فيهما آثار واضحة تشهد له بالقدرة الإبداعية البيانية فيهما معاً.

وهو في ذلك كله يفيض عن عاطفة قويّة، ووجدان ملتهب بالحميّة الإسلامية، والغيرة الدينية[٤٥]. وأدبه يصدر عنه حيّاً فوّاراً بالانفعالات والمشاعر، التي تمنح الأدب الحياة والتأثير؛ لأنه في هذه الحالة أدب طبع لا تكلف فيه ولا تصنع، والأدب الصادق المؤثر هو الذي يعبر عن عقيدة تملكته، مستجيباً لنداء ضميره وإيمانه بتلك العقيدة، منبعثاً بيانه عنها. وقد عبّر أبو الحسن عن أهمية هذه العاطفة في كتاباته النقدية بما يؤكد أصالتها في إبداعه الأدبي والنقدي؛ فهو يقول : «وقد كان هؤلاء الكتاب المؤمنون الذين ملكتهم فكرة أو عقيدة ، أو يكتبون لأنفسهم يكتبون إجابة لنداء ضميرهم وعقيدتهم مندفعين منبعثين فتشتعل مواهبهم، ويفيض خاطرهم، ويتحرّق قلبهم فتنثال عليهم المعاني، وتطاوعهم الألفاظ، وتؤثر كتاباتهم في نفوس قرائها لأنها خرجت من قلب فلا تستقر إلا في قلب أما هؤلاء المتصنعون فإنهم في كتاباتهم الأدبية أشبه بالممثلين الذي يمثلون الملوك فيتصنعون أبهة الملك ومظاهره، وقد يمثلون الصعلوك فيتظاهرون بالفقر، وقد يمثلون السعيد، وقد يمثلون الشقي من غير أن يذوقوا لذة السعادة، أو يكتووا بنار الشقاء، وقد يعزّون من غير أن يشاركوا المفجوع في أحزانه، وقد يهنئون من غير أن يشاركوا السعيد أفراحه»[٤٦] .

ومن هنا تتجاوب نفسه، وتتماثل رؤاه، مع ما يراه أستاذه (محمد إقبال) في تصور الأدب كائناً حيّاً له قلب حنون، وأن هذا الأدب لا يصل إلى حد الإعجاز إلا إذا كان مستمداً من حياته من أعماق القلب الحي[٤٧] ،

ويقتبس لنا بعض أقوال إقبال في هذا المعنى : «لا بارك الله في نسيم السحر إذا لم تستفد منه الحديقة إلا الفتور والخمول ، والذويّ والذبول، إن غاية الإحسان في فن من فنون العلم والأدب ولوعة الحياة الدائمة. ما قيمة شرارة تلتهب سريعاً وتنطفئ سريعاً ؟ وما قيمة لؤلؤة كريمة أو صدفة لامعة لا تحدث اضطراباً في الأمواج ولا اضطراباً في البحار؟ لا نهضة للأمم إلا بمعجزة ، ولا خير في أدب ولا شعر إذا تجردا من تأثير عصا موسى»[٤٨] .

وقد ظل أبو الحسن وفياً في أدبه، في الفيض الحيّ عن عقيدة مؤمنة جياشة بالتعبير الروحاني عن أعماق نفسه المفعمة بحرارة الشوق والنغمات العلوية، وإنها لظاهرة ظاهرة في جل آثاره وأغلب كتاباته ، ولنقرأ مثلاً بعض آثار هذه الكتابات على أديب العربية الكبير الشيخ علي الطنطاوي – رحمه الله – وهو يكتب عن كتاب أبي الحسن «الطريق إلى المدينة» فيقول : «لقد كدت أفقد ثقتي بنفسي، ولكني لما قرأت كتابك يا أخي أبا الحسن «الطريق إلى المدينة»، أحسست بالشوق يعود فيعتلج بنفسي ، فعلمت أن قلبي ما خلا من جوهر الحب، ولكن هموم العيش وطول الألفة قد غطيا جوهره بالغبار، فأزاح كتابك عن جوهره الغبار. وكدت أفقد ثقتي بالأدب حين لم أعد أجد عند الأدباء هذه النغمة العلوية التي غنّى بها الشعراء من لدن الشريف الرضي إلى البُرعي، فلما قرأت كتابك وجدتها، وجدتها في نثر هو الشعر، إلا أنه بغير نظام .

«فيا أبا الحسن لك الشكر على أن رددت إليّ ثقتي بنفسي ، وثقتي بأدب لغتي ..»[٤٩] .

توظيف أدبه في نشاطه الدعوي :

كانت الدعوة الإسلامية همّ أبي الحسن الندوي وشغله الشاغل، وظلت كذلك دائماً طوال حياته – رحمه الله، وظل هدفه السامي لهذه الدعوة أن يبعث في الأمة الإسلامية روحها من جديد لتضطلع بوظيفتها القيادية لإسعاد البشرية كلها[٥٠]، مبيناً أنّ الطريق لقيادة العالم مرّة أخرى ممهّد ميسور إنه «الإخلاص للدعوة الإسلامية، واحتضانها وتبنيها، والتفاني في سبيلها ، وتفضيل منهج الحياة الإسلامي على جميع مناهج الحياة[٥١] .

وكان من أبرز محاور نشاطه الدعوي، دعوة العرب إلى الإسلام من جديد[٥٢] وأن يقوموا بدورهم الدعوي والقيادي ، الذي هو منصبهم القديم على حد تعبيره – رحمه الله ، وأنه دور مهم ليس في العالم الإسلامي فحسب وإنما في العالم الإنساني كافة ، وقد صرح الشيخ بأن هذا الموضوع قد ملك عليه عقله وقلبه ومشاعره بحيث فكر أن يجعله هدف حياته وموضوعها[٥٣] .

ولما كان أبو الحسن يمتلك في شخصيته مقومات الأديب، ويتمتع من خلال تكوينه الثقافي والمعرفي والأدبي الذي أتاحته تلك البيئة العلمية الدعوية، بقدرة واضحة على التعبير الأدبي البياني باللسان والقلم معاً، فقد وظّف هذه الملكة والقدرات توظيفاً شاملاً وكلياً إلى آخر حد، وخاصة أن الدعوة لا تكون إلا باللسان والقلم على حد تعبير أديب العربية الطنطاوي[٥٤] ، وإنتاج الشيخ الدعوي الثر في أحاديثه ومحاضراته وحواراته وكتبه يجعل الناظر فيه يحس – كما يقول أحد الباحثين في منهج الشيخ في الفكر والعمل – : «إن هذا الشيخ مؤذن، وقف على مئذنة مسجده في ليلة شاتية باردة مطموسة النجوم بفعل السحب المتراكمة، موحلة بفعل الأمطار الغزيرة .. من هنا لم يكتف الشيخ بما يشغل بال غيره من الدعاة والعلماء من وعظ وتخويف بالجنة والنار ، أدب الخلوة والعبادة يأساً من صلاح الناس، وإنما كان شغله الشاغل هو بعث هؤلاء النيام من رقدتهم وتنبيههم إلى ما يحدق بهم من جراء غفلتهم وتكالب أعدائهم عليهم، وسعيهم في اقتناص أطرافهم تمهيداً لاستئصال شأفتهم[٥٥] .

وقد ظل إحساس الداعية المسيطر على الشيخ

الندوي، وحمله لرسالة هذا الدين إلى البشرية كلها، وأنه قد جنّد نفسه للنهوض بها بكل قوة جسمية وقوة أدبية بيانية، ظل ذلك كله محرّكاً لطاقته الأدبية ، باعثاً لتجربته الشعورية في أن تبرز في الواقع قوية حية موّارة بعواطفه الجيّاشة، وتعبيراته الرائعة المؤثرة في نفوس متلقية، الموحية إليهم بشتى العواطف والأحاسيس، وهكذا نجد هذا الأثر التفاعلي بين الدعوة والأدب في إثراء كل منهما للآخر؛ فالدعوة تحفز تجربة الأديب وتبعثها، والأدب يثري تجربة الدعوة بحملها للآخرين ومنحها القوة في التأثير والبلوغ إلى نفوس المتلقين وعقولهم .

وقد ذكر لنا أحد الباحثين صورة لإحساس الداعية الذي يقف وراء مؤلفات الشيخ وكتاباته مثل ما نجد في كتابه «نظرات في الأدب» كتوثيق فصل لمحة عن المدرسة الأدبية الهندية منه، وهو أشد فصول الكتاب عاطفة ، وإن كان الكتاب كله يفصح عن قدرة أدبية رائعة لدى أبي الحسن الندوي تفيض بالعاطفة الإيمانية، هذا إلى جوار عاطفته في كتابه " الطريق إلى المدينة " وخاصة فصل وفود الأمة بين يدي نبيها ﷺ، وإني لا أظن أن قارئاً يقرأ هذا الكتاب ولا يحرّك فيه مشاعر الإيمان والحب، وقد جاء الكتاب وليد حاجة أحسها المؤلف في العالم، وهي ضعف الصلة بين الطبقة المثقفة والرسول ﷺ، ولعل المقصود هو ضعف الصلة الروحية للعاطفة، فألفّ كتابه «الطريق إلى المدينة» ليحاول فيه إعادة ربط الصلة وتجديدها بين الأمة ونبيها ﷺ من خلال الأدب مرّة أخرى، وهذا بعد أن غزت ساحة الحياة الإسلامية جيوش الفلسفات الماديّة ، والعلوم الغربية ، فرأى أن يجهز جيشاً من بلاد الحب والعاطفة ليوقظ الشرارة الكامنة في قلب كل مسلم، بالمقالات القوية المؤثرة، والخطب الجذابة التي تتدفق بمعاني الحب والحنان، وتنضح بحرارة الحياة في قلوب الشباب ورجال الفكر من أصحاب البحث والأقلام من العرب خاصة، فيشعر بالغيرة من العجم في حبهم لرسول الله ﷺ وتلذذهم بذكره»[٥٦] . ويبدو أن أبا الحسن الندوي استمد فكرته وخيالاته هذه من أستاذه (محمد إقبال) حين قال : «لقد عزّ على أن أجهز جيشاً من بلاد الحب والعاطفة، فقد بدت في مركز الإسلام طلائع قوّة يقودها العقلي الفلسفي» فهذه فقرة مزج فيها صاحبها بين العاطفة والفكر، أو بين القلب والعقل، وهو ما يعرف بالمنطق الوجداني، وقد قلدّه في هذا الأسلوب تلميذه أبو الحسن الندوي . وفي كل الحالات فإن كتاب «الطريق إلى المدينة» رائعة أدبية؛ فيها جديد كثير تحدث مؤلفه فيه عن حبه العميق لرسول الله ﷺ ، وأملى خياله عليه خواطر وصوراً بيانية من استعارة وتشبيه رائع ..»[٥٧] .

والندوي وهو يوظف الأدب في تحقيق رسالة الداعية، ينطلق من ناحيتين مهمتين في اتجاهه هذا إحداهما تعود إلى أثر توظيف الأدب في خدمة العقيدة والإيمان؛ حيث إن الأديب في هذه الحالة سيكون مرتبطاً بالمضامين الإسلامية مستمداً منها متأثراً بها ، فتمنح هذه المضامين أدب الأديب أبعاداً مهمة في المعنى والتعبير ، فهو يكتب عن عقيدة وعاطفة ، يقول : «الإيمان وصفاء النفس والاشتغال بالله والعزوف عن الشهوات يمنح صاحبه صفاء حس ولطافة نفس وعذوبة روح، ونفوذاً إلى المعاني الدقيقة واقتداراً على التعبير البليغ»[٥٨] .

والثانية أن الإسلام نفسه في ثورته العالمية البناءة التي قام بها «استخدم اللغة والأدب كسلاح في دعوته ونشاطاته ، استخداماً لم تستخدمه أيّ ديانة أو حركة، فقد كان أفضل دعاة الإسلام وأقوى ممثليه، من ملكوا ناصية البيان، وبرّزوا في الخطابة والكتابة في لغته»[٥٩] .

وقد ظل أبو الحسن باستمرار وفيّاً لهذا الاتجاه الأدبي الواضح في دعوته، وظل أديباً داعية، وداعية أديباً سواء في إبداعه الأدبي المتمثل في أحاديثه وخطبه

ومحاضراته وحواراته ولقاءاته، وجميع كتاباته وكلماته وهي كثيرة ثرّة، هذا الإبداع الذي اعتمد بوضوح على تعبيره الجميل، وكلامه المؤثر القوي[٦٠] .

أو في حركته الأدبية، ونشاطه العملي النقدي، ودعوته إلى الاهتمام بالأدب دراسة وإبداعاً، ونقداً وتوظيفاً لخدمة الإسلام وقيمه الفاضلة العادلة، وغني عن البيان ريادته الجلية الجليلة في العناية بالأدب الإسلامي، وتدعيم مفاهيمه على مستوى المصطلح أو على مستوى المفهوم والدراسة، ثم على مستوى تأسيس رابطة عالمية للأدب الإسلامي، تجمع الأدباء على كلمة سواء، وشرفت هذه الرابطة برعايته لها واحتضانه لمقرها الأساسي، وتكرّمت برئاسته لها، بما يمنحها الرضا والقبول في جميع المحافل والأوساط، ولدى الدول والحكومات.

وفي سياق وفائه لهذا الاتجاه الإسلامي الأصيل، أنه منذ ابتداء عمله في حقل التدريس كانت كل رغبته وشوقه «منصرفاً إلى تدريس الطلاب وإنشاء الذوق الصحيح، والمكانة المطلوبة لفهم القرآن الكريم، وتذوّق اللغة العربية وآدابها ..»[٦١] ويقول في موضع آخر عن هذا الاهتمام مبيناً أثره ليس على الطلاب فقط وإنما على الأساتذة أنفسهم : «.. ولكن استفادتنا نحن المدرسين بهذا المنهج أكثر، وكان لنا بذلك مران على الطلاقة في الكلام بالعربية، وتمرين على الخطابة والإفهام ، كان أساساً فيما بعد لتلك الخدمات المتواضعة التي تحققت بفضل الله تعالى في مجال الدعوة والتربية» .

«وكنت بطبعي ولتأثير ذلك الجو والبيئة أنست بطلاب الصفوف التي كنت أدرسها وألفتهم، وكان من الحب والثقة والعلاقة ما يشترط للإفادة والاستفادة، فكنت أحرص دائماً على أن يتشربوا هذا العلم، ويتلقوا هذه العاطفة الجيّاشة للتطوع بالتعليم وصبغ الطلاب بصبغة العلم ..»[٦٢] .

وحين بدأ الشيخ أبو الحسن كتاباته باللغة العربية، وأخذ في الاتجاه إلى مخاطبة العرب، وانطلق في إنتاج سلسلة متواصلة من المقالات والرسائل، شعر بالسعادة والغبطة، وحمد الله على المنهج التعليمي الذي تعلم في إطاره، وعلى مقررات اللغة العربية وآدابها التي درسها، وأمتنّ كثيراً لما فعله أخوه الأكبر تجاه تربيته وتركيزه في هذه التربية «على تثقيف أخيه اليتيم الصغير بالثقافة العربية الأدبية .. لقد كان غريباً أن يعتني بتعلم فرد من أفراد الأسرة – التي كان يسود فيها التعليم الإنجليزي – اللغة العربية وآدابها على هذا النطاق الواسع، وبهذا المستوى العالي، ويمرّن على الإنشاء والكتابة والخطابة» .

«فلما بدأت هذا العمل الكتابي الدعوي، ووفقت بعد ذلك عام ١٩٥١م للسفر إلى الشرق الأوسط، قدّرت فراسة مربيّ وأخي الأكبر السيد عبد العلي، وبُعد نظره، وبصيرته الدينية، واعترفت بفضله الكبير عليّ، إذ إنه اختار لي هذا الطريق، وإنه أتاح لي – بمعزل عن مناهج التعليم السائدة – فرصة الحصول على سعادة الخطاب للعالم العربي، وإثارة شعورهم ووجدانهم، وإيقاظ عواطفهم الخامدة، ومخاطبتهم بأنها «بضاعتكم ردّت إليكم» عن طريق هذه اللغة والأدب، والكتابة والتحرير، والإنشاء والخطابة»[٦٣] .

وإلى جانب توظيف الشيخ لإمكاناته اللغوية العربية في دعوته في خطابه ومحاضراته وكتاباته التي اشتهر بها ليس في الهند فحسب وإنما في الأقطار العربية، إلى جانب ذلك وظفّ في نشاطه الدعوي الواسع قدراته في اللغة الأورديّة لغة موطنه، الذي عاش فيه، وكذلك استخدم اللغة الإنجليزية التي يعرفها قراءة وتحدثاً[٦٤] .

وقد رفد هذه الإمكانات الأدبية واللغوية لدى الشيخ في نشاطه الدعوي شجاعة أدبيّة، وثقة قوية بالنفس، جعلته يتقدم الصفوف في أي مكان يوجد فيه، وينطلق متحدثاً مرتجلاً في الأندية، والمؤتمرات، والمجامع العلمية وغيرها، أو ينشر

ما يريد نشره في الصحف والمجلات، كما أنه لا يتردد في أن يقول كلمة الحق صريحة مدويّة، دون مواربة أو استحياء[٦٥].

ومثل هذه الشجاعة الأدبية ضرورية لرجل داعية كثير الترحال والأسفار في سبيل هذه الدعوة وشواغلها الكثيرة المتنوعة، فهو لا يكاد يؤوب من رحلة حتى ينشط في أخرى في سفر دائم يجوب أقطار الأرض يقول كلمة الحق، ويبعث في نفوس المسلمين الثقة ويدعوهم في حب وحنان إلى العودة إلى الإسلام من جديد، والاستمساك بقيمه والأخذ برسالته السامية العظيمة .

ويلاحظ من درس حياته أو اطلع عليها أن رحلاته الكثيرة، وأسفاره المتعددة كانت في الغالب لأسباب دعوية، بمبادرة منه، أو استجابة لدعوات رسمية، أو شعبية[٦٦] .

وفي سبيل هذه الدعوة المتحركة في أرجاء الأرض، وجد الشيخ نفسه وقد انصرف بكليته إلى عمل الدعوة وتبليغ رسالة الإسلام، وترك العمل الرسمي يقول عن هذه النقطة الحاسمة في تاريخه الدعوي : «وكثر انصرافي إلى عمل الدعوة والتبليغ، وكثرت جولاتي ورحلاتي الدعوية، فشعرت بأن هذا يؤثر على التدريس والتعليم، وقد كانت النفس قد ضجرت وملّت – بسبب تجارب مختلفة، والاشتغال بالجهود الدعوية– نظام التعليم الروتيني ومنهجه الرتيب والتقيدات، فقررت في سبتمبر عام ١٩٤٢م أن أقطع علاقتي الرسمية بدار العلوم، وأتخلّى عن الوظيفة..»[٦٧].

وكان لا بد أن يفعل الشيخ ذلك وخاصة أن بعض أسفاره قد تصل في مدتها إلى مدى ستة أشهر[٦٨]، وقد تطول أكثر من ذلك، إلى أن تستغرق عاماً كاملاً[٦٩] .

ولا يفوتنا هنا ونحن نتحدث عن توظيفه إمكاناته الأدبية في المجال الدعوي، أن نشير إلى ما ابتكره أبو الحسن من نموذج للدعوة، أبدع في عرضه وركّز عليه، وجعل منه خطّة للدعاة، ذلك هو نموذج دعوة الصحابي الجليل «ربعي بن عامر» رضي الله عنه، لـ «رستم» قائد الجيوش الفارسيّة إلى الإسلام، وحديثه عن المسلمين ومهمتهم السامية، في قوة وثقة وشجاعة[٧٠] ، وعن هذا النموذج يقول يوسف القرضاوي : «لقد وجدنا في رسائل الشيخ لغة جديدة، وروحاً جديدة، والتفاتاً إلى أشياء لم نكن نلتفت إليها، إن رسائل الشيخ هي التي لفتت النظر إلى موقف ربعي بن عامر – رضي الله عنه، بين يدي رستم قائد الفرس وكلماته البليغة له التي لخصت فلسفة الإسلام في كلمات قلائل، وعبّرت عن أهدافه بوضوح بليغ وإيجاز رائع : «إن الله ابتعثنا لنخرج الناس من عبادة العباد إلى عبادة الله وحده، ومن ضيق الدنيا إلى سعتها، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام» أبو الحسن الندوي – فيما أعلم – هو أوّل من نبهنا إلى قيمة هذا الموقف، وهذه الكلمات، ثم تناقلها الكاتبون بعد ذلك وانتشرت»[٧١].

كما أنه استحدث تجربة جديدة في المجال الدعوي الشعبي، هي عقد الاجتماعات المشتركة بين المسلمين وغير المسلمين والحديث إلى الجميع، وهي تجربة نبتت في ظلها فكرة (رسالة الإنسانية) وكانت الخطوة الأولى في هذا الاتجاه، وكانت تجربة فريدة في تاريخ الهند الحديث[٧٢] .

ولنترك الحديث لأبي الحسن عن هذه التجربة الجديدة الحيوية : «قادني جهازي الفكري والتربوي – إلى اتجاه جديد، وتجربة في المجال الدعوي الشعبي، وهو عقد اجتماعات مشتركة شعبية، يدعى فيها غير المسلمين أيضاً باهتمام بالغ، لاسيما المثقفين منهم، وتلقى فيها خطابات مع مراعاة أجوائهم وعقلياتهم، تعرّفهم بالإسلام، وتزيل الوحشة منه، وسوء التفاهم، وتحملهم على دراسة الإسلام والسيرة النبوية بعمق وإنصاف، وتجسّم لهم الأخطار المحدقة بالبلاد، للإفلاس الروحي والعقائدي والانهيار الخلقي، وسيطرة النظر المادي والشره للمال على المجتمع، وينذرهم بفداحة الخطب وقرب الخطر، وذلك كله باللغة التي يفهمونها أكثر، والأسلوب الذي يؤثر فيهم، فكانت تستعمل

فيها الكلمات الإنجليزية بدل المصطلحات الأردية، والكلمات الهندية البسيطة السائدة»[٧٣] .

وقد كان لهذه التجربة تأثير على النفوس، ويصف الشيخ ذلك[٧٤] ، حين حدّث ذات مرة ، أنه عقب خطابه في إحدى هذه الاجتماعات المشتركة في مدينة (يوان) في ولاية بهار، أخذ الناس ينادون مطالبين بالمزيد ، يقول الشيخ : "وقالوا بلسان الحال :

وحدِّثْنا يا سعدُ عنهم فزدتنا

شجوناً فزدنا من حديثك يا سعدُ

فقلت : إنه ليس من عادتنا أن نستمر في الخطاب من غير ضرورة إذا أشبعنا الموضوع، وكنت أريد الجلوس بعدما قلت ذلك ، إذا بشيخ هندوكي معمّر، تقدم إلى المنصة وهو يقول: "Wonder full , Wonder full" (رائع، رائع) ثم قال : أريد أن أقول شيئاً ، فخفنا أن يقول شيئاً يزيل أثر الخطاب ويحدث النقاش، فحاولنا بأسلوب مهذّب لبق أن نجلسه، ولكنه وصل إلى المنصة ، وأخبرنا أعيان المدينة بأنه من كبار المحامين الناجحين هنا، وهو سكرتير أو رئيس «الحزب الاشتراكي الجماهيري» وقال وهو آخذ بمكبرة الصوت : (إنني سمعت في حياتي خطابين تأثرت بهما جداً، أحدهما خطاب C.R. Dass[٧٥]، والثاني خطاب مولانا اليوم، وأقول بكل صراحة : إن محمداً ﷺ رسول الله الحق، ويا مولانا إنك لست للمسلمين فحسب، بل إن لنا أيضاً حقاً عليك وسوف نكلفك بزيارة هذه المدينة مرة ثانية»[٧٦] .

وقد تحولت هذه التجربة الناضجة إلى حركة «رسالة الإنسانية» التي أحدثت لدى كثير من المنصفين والمثقفين من فضلاء غير المسلمين، رغبة في فهم الإسلام، وتطلعاً إلى فهم رسالته[٧٧] . وقام الشيخ في سبيل هذه الحركة بكثير من الجولات في ولايات عديدة في الهند وعقد فيها اجتماعات ناجحة[٧٨] .

وأما مجالات اهتمام الشيخ الدعوية التي سخّر لسانه وقلمه ونشاطه، فنجدها اهتمامات شاملة لمجالات عديدة، ومتنوعة، يجمعها إطار واحد، وتدور حول محور واحد هو أنها اهتمامات دعوية، تتوجه إلى قضايا الأمة الإسلامية، والإنسانية؛ ونجد تلخيصاً لهذه الاهتمامات والمجالات في بحث الشيخ القيم الذي ألقاه في الجلسة الأخيرة لمؤتمر الدعوة الإسلامية الذي عقدته رابطة العالم الإسلامي في مكة المكرمة[٧٩] ، ونشير إليها بإيجاز شديد فيما يلي[٨٠] :

١ – تحريك الإيمان في نفوس الشعب والجماهير المسلمة، وإثارة الشعور الديني فيها.

٢ – صيانة الحقائق الدينية والمفاهيم الإسلامية من التحريف.

٣ – تقوية الصلة الروحية والعقلية والعاطفية بالنبي ﷺ والحب العميق له الذي يؤثره على النفس والأهل والولد.

٤ – إعادة الثقة في نفوس الطبقة المثقفة ومن بيدهم الثقافة الفكرية والتربوية والإعلامية في البلاد والحكومات الإسلامية، بصلاحية الإسلام وقدرته على قيادة الإنسانية إلى الغاية المثلى وبر السلام والسعادة.

٥ – قلب نظام التربية والتعليم المستورد من الغرب[٨١] المنتشر السائد في العالم الإسلامي رأساً على عقب وصوغه صياغة إسلامية جديدة ، تتفق مع شخصية الشعوب المسلمة ، وعقيدتها ، ورسالتها .

٦ – إيجاد حركة علمية قويّة دولية، تعرّف الطبقة المثقفة بذخائر الإسلام العلمية، وتراثه المجيد، وإبراز الفقه الإسلامي وقوانينه من أرقى القوانين وأوسعها في العالم.

٧ – الحضارة عميقة الجذور في أعماق النفس الإنسانية، وفي مشاعر الأمة وأحاسيسها، وتجريد الأمة من حضاراتها الخاصة التي نشأت في ظلال دينها وتعاليم شريعتها وذوقها الديني الخاص، يعني عزلها عن الحياة.

٨ – معاملة الحضارة الغربية – بعلومها ونظرياتها واكتشافاتها وطاقاتها ، كمواد خام يصوغ منها قادة

الفكر، وولاة الأمور في العالم الإسلامي حضارة قوية عصرية، مؤسسة على الإيمان والإخلاص والتقوى، والرحمة والعدل في جانب، وعلى القوة والإنتاج والرفاهية وحب الابتكار في جانب آخر .

٩ – إقناع الحكومات – في بعض البلاد الإسلامية التي مثلت دوراً رائعاً في تاريخ الدعوة والحضارة الإسلامية – المشغولة بحرب إبادة للعنصر الإسلامي، أو بعملية تطوير للإسلام، وتفسيره وفق مصالحها السياسية، وأهواء قادتها الشخصية، بأنها سياسة عقيمة لم تنجح في بلد إسلامي .

١٠– القيام – في الدول غير الإسلامية – بالدعوة إلى الإسلام والتعريف به بأساليب حكيمة تتفق مع طبيعة الإسلام وروح العصر، أما البلاد التي فيها أقليات مسلمة، فالاهتمام بتمثيل الإسلام والحياة الإسلامية تمثيلاً يلفت إليه الأنظار، ويستهوي القلوب، والقيام بالقيادة الخلقية والروحية.

١١– وجود حركة إيمانية دعوية إيجابية قوية في العالم الإسلامي، تقترن بصفات الرجولة والطموح وعلوّ الهمة وبعد النظر، والقدرة على مواجهة الطاقات الرئيسة، التي تملكت زمام قيادة البشرية .

وختم بيانه الشامل المؤثر بقول الله تبارك وتعالى : ﴿إِلاَّ تَفْعَلُوهُ تَكُن فِتْنَةٌ فِي الأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ﴾[٨٢] .

١٢– ومن القضايا التي شغلته في مجال دعوته، الرد على زعماء القومية العربية، وخاصة بعد هزيمة العرب النكراء في ٢٩ صفر ١٣٨٧هـ/ ٥ حزيران عام ١٩٦٧م واستيلاء إسرائيل على القدس وخروج الضفة بكاملها، يقول الشيخ: «لقد ركّز هذا الحادث الأليم كل قواي ومواهبي في الخطابة والكتابة ، وجل أوقاتي وعنايتي على الرد والمعارضة الشديدة لصاحب هذا الخزي والمسؤول عن هذه الهزيمة الشنيعة ... وأصبح الموضوع الأساسي لخطاباتي وكتاباتي»[٨٣].

١٣– ومن القضايا التي شغلته، وكان لها مجالها في دعوته ونشاطه الأدبي، نصرته للقضايا الإسلامية في بلده العلماني (الهند) والدفاع عن الأحوال الشخصية الإسلامية[٨٤] ، وكان له دوره البارز في حلّ قضايا المسلمين، ومواجهته لحملات العداء والكراهية ضد المسلمين، وقام بمجهودات فعّالة مع قادة البلاد السياسيين، وزعماء الحركات ، والمنظمات الشعبية والاجتماعية، والمثقفين، والحوار البليغ مع الجميع لمواجهة العناصر المتطرفة[٨٥].

ألوان الأدب المختلفة :

تنّوع نشاط أبي الحسن الندوي الدعوي الأدبي، وبرز في ألوان متعددة من الأجناس الأدبية المختلفة، تمثّلت في الخطبة والمحاضرة، والمقالة الكتابية، والرسالة، والقصّة وما يلحق بها من تراجم وسير. ونتناولها بالحديث فيما يلي :

١ - الخطبة والمحاضرة :

من أبرز صفات أبي الحسن المعدودة، أنه خطيب مصقع، وأنه صاحب موهبة عالية في الحديث والمحاضرة، وقد تهيأ لها وتهيأت له منذ مرحلة الطفولة، ولابد أن نشير هنا إلى ما كان يفعله وهو طفل في الثامنة من العمر، حيث جمع له محتويات مكتبة صغيرة، ضمّت كتباً ورسائل صغيرة بالأوردية في السيرة النبوية وقد قرأها، ونفذت مضامينها إلى قلبه وعقله، وقد أنشأت في نفسه رغبة أن يعقد جلسة للأطفال يتحدث إليهم عن السيرة أو يقرأ لهم في بعض تلك الكتب، وكان حريصاً على دعوة الأطفال من أترابه، وحريصاً على حضورهم تلك الجلسة[٨٦] ، يقول عن ذلك : «فدعوت الأطفال الصغار مثلي ومن أترابي، ومررت لأجل ذلك على بيوتهم واحداً واحداً، ولاثت لي إحدى أختيّ عمامة صغيرة على رأسي، وكنت لم أتجاوز الثامنة من

عمري وأخذت كتاباً من تلك الكتب المجموعة عندي، وقد كانت معرفتي وعلمي بالموضوع بحيث كنت أدعو سيد قريش وجدّ نبينا محمد ﷺ عبد المطّلب، بعبد المطّلب، بإسكان الطاء وفتح اللام، وكان الوالد رحمه الله - قد وقف بجانب هذا المجلس يسمع ابنه وهو يقرأ من هذا الكتاب، ولا تسأل عن موجة الفرح التي كانت تغمر جوانحه، فقد رزقه الله حظاً وافراً من حبّ النبيّ ﷺ، وبه تتحلّى كتابته بما تتحلّى من رونق ورواء، وطلاوة وجمال، ويمكن أن تقدّر سروره بابنه الصغير، ولسانه -على صغر سنه- يلهج بذكر النبي الحبيب، عليه الصلاة والسلام، الذي هو مصدر كل خير وبركة، ورشد وهداية، وهو بذلك يفسح المجال في الدخول في السعداء الذي يكتب لهم الاشتغال بالسيرة العطرة حديثاً وتأليفاً»[٨٧].

وقد وضع أبو الحسن قدمه - منذ ذلك اليوم - في طريقه الصحيح الذي سار عليه طيلة حياته، ذلك الطريق اللاحب الطويل، في سبيل الدعوة الواضحة الصريحة، ذلك الطريق الذي شرّق به وغرّب في أرجاء أغلب الأرض، فظل معتلياً منابر الخطابة، والمحاضرة، والحديث إلى الناس، يمارس ذلك في رغبة وإقبال وسعادة، فلا يسنح موقف، أو مناسبة، أو لقاء، أو ندوة، أو مؤتمر، وما أكثر ذلك في حياته، وما أوسع مداه المكاني الذي كان على امتداد العالم - إلا ويطير إليه على جناح السرعة، ويكون له فيه القِدْح المُعلّى بياناً وحديثاً حسناً يهدي بإذن ربه إلى صراط مستقيم.

وقد تنّوعت خطاباته ومحاضراته؛ من محاضرات عامة، وكلمات في مؤتمرات وندوات، وخطابات عامة في تجمعات جماهيرية، ولقاءات طلابية، أو حشود شعبية، وحوارات ونداءات، أو أحاديث إذاعية ومحاضرات تعليمية. ونجد أنفسنا أمام تراث خطابي ضخم، خلفه الشيخ رحمه الله، ويمكن الإشارة إلى ذلك بإجمال قدر الإمكان على النحو الآتي :

أ - محاضرات عامة :

من أهم المحاضرات التي ألقاها في بداية عهده بالمحافل العلمية الكبيرة، محاضرته عن «الدين والمدينة" عام ١٩٤٢م، بناء على دعوة تلقاها من مجلس الإسلاميات بالجامعة الملية الإسلامية في دلهي، وكان يقر أنها خطوة جريئة، وعمل يتطلب - على حد تعبيره - «همة كبيرة عالية» وأنه لذلك اختار موضوعاً يسترعي الانتباه، وأعده إعداداً جيداً وطالع من أجل ذلك الكتب التي في متناول يده[٨٨] . كما ألقى محاضرة تفصيلية بعنوان : «المد والجزر في تاريخ الإسلام»[٨٩] استعرض فيها حال العرب قبل الإسلام، والتغيير الهائل الذي أحدثه الإسلام في معتقداتهم وعقليتهم وضميرهم، وعزائمهم، والدلالة على أسباب هذا التحول الحقيقية، الكامنة في البعثة المحمدية، على صاحبها أفضل الصلاة والسلام، وتنفيذ العرب للتعاليم الإسلامية، وقوة إيمانهم ويقينهم، ثم ذكر الانحطاط الذي تجلّى في أوضاع المسلمين، وطبيعة الأمة الإسلامية المعاصرة، وكشف النقاب عن أسبابه الداخلية والخارجية ونتائجه الظاهرة، وذكر علاجها الصحيح[٩٠] .

وفي أعقاب حدث تقسيم الهند إلى دولتين، وما أحدثه ذلك من آثار وآلام في نفوس المسلمين في الهند عام ١٩٤٧م، وكان الشيخ يرى «أن التقسيم سيفقد المسلمين نفوذهم السياسي وتأثيرهم الديني في الهند ويجني على حركة الدعوة الإسلامية" وفي تلك الأثناء عقدت عدة اجتماعات دعوية مهمة في لكهنؤ، وألقى فيها الشيخ عدة محاضرات، وكان أهمها وأشدها تأثيراً الخطاب الذي ألقاه في ٦ ديسمبر ١٩٤٩م بعنوان : «بين الصورة والحقيقة» بالأردية، وقد نقله إلى العربية، ابن أخيه الأكبر (محمد الحسني)[٩١] وقد بيّن في هذه المحاضرة أن هناك فرقاً كبيراً بين الصورة والحقيقة، وأن حقيقة صغيرة انتصرت دائماً على الصورة، مهما كانت كبيرة، وقدّم أمثلة

من تاريخ العهد الإسلامي الأول على ذلك[٩٢].

وفي زيارته لمصر عام ١٩٥١م كانت أول كلمة ارتجلها في اجتماع ضم أعضاء البعثة التركية إلى الأزهر وطلبة سوريا وفلسطين، كانت كلمة فياضة بليغة عبّرت عن فكره الإسلامي النيّر في عصر الحضارة والعلم[٩٣]، وقد ألقى فيهم عدة محاضرات كذلك، يقول الشيخ : «ولقد وجدت فرصة طيبة للخطاب في الطلاب السوريين والأندونيسيين والأريتريين»[٩٤] . كما ألقى محاضرة عن محمد إقبال في دار العلوم[٩٥] ، بعنوان : «شعر إقبال ورسالته» وكان من أهم المحاضرات التي ألقاها أمام جمع من الفضلاء في قاعة جامعة دمشق، خطابه حول قضية فلسطين بتاريخ ٢٣ يوليو ١٩٥١م وكانت بعنوان «العلم والتاريخ في قضية فلسطين»[٩٦] . كما ألقى عدداً من المحاضرات في الهيئة العلمية الإسلامية، وجمعية التمدن الإسلامي، والجمعية الغراء، قدّم فيها تجاربه وآراءه في الدعوة العامة والاتصال بالناس، وأهمية العمل الدعوي في المدارس والكليات ونبه إلى خطورة أن يبقى العلماء بمعزل عن العامة، دون اتصال بهم وإيقاظ لشعورهم الديني[٩٧].

وبعد عودته من دمشق إلى الحجاز في أغسطس عام ١٩٥١ ألقى محاضرات في المعهد السعودي، وكلية تحضير البعثات، وكلية الشريعة بالطائف، وبعد عودته إلى الهند، ألقى في مستقبليه في لكنهؤ، كلمة عن انطباعاته عن رحلته، بناءً على طلبهم، فألقى فيهم كلمة موجزة وأنشد بيتين من شعر محمد إقبال يقول فيهما[٩٨] : «لم أسمع في مصر ولا في فلسطين ذلك الأذان الذي ارتجفت له الجبال بالأمس، إنّ السجدة التي كانت تهتز لها روح الأرض، لقد طال عهد المحراب بها، واشتاق إليها المسجد، كما تشتاق الأرض الجديبة الخاشعة إلى المطر» .

وفي زيارته الثانية إلى الشام عام ١٩٥٦م بدعوة رسمية، أستاذاً زائراً ألقى عدة محاضرات مهمة في كلية الشريعة في الجامعة السورية، وكانت المحاضرة الأولى بعنوان «التجديد والمجددون في تاريخ الفكر الإسلامي» والثالثة بعنوان «الإمام الحسن البصري وخلفاؤه» وكانت المحاضرة الثامنة والأخيرة بعنوان «حجة الإسلام الغزالي، مصلحاً اجتماعياً» وكان مجموع سلسلة محاضراته ثماني محاضرات، تمت بنجاح وقبول[٩٩] .

وأثناء إقامته في سوريا، قام بزيارة للبنان، وألقى خطاباً أمام الشباب كما ألقى في خلية الملك سعود[١٠٠] ببيروت محاضرة في موضوع «الشعوب لا تعين على أساس المدنيات، بل تعين بالرسالات، وتعضدها روحها وخصائصها»[١٠١].

كما قام أيضاً بزيارة لتركيا في تلك الأثناء وفي طريقه إلى تركيا أقام ليلة في حلب، وألقى هناك محاضرة في مركز الإخوان بعنوان «حاجتنا إلى إيمان جديد» في أسلوب دعوي، صارح فيها العرب في مرارة شديدة، وانتقد فيها القومية العربية بقوّة، يقول عن ذلك : «كأنني قلت لهم: إنكم لو اتخذتم القومية العربية دينكم وإيمانكم فكأنكم تخدعون المسلمين في شبه القارة الهندية الذين لم يزالوا على مدى تاريخهم الطويل متمسكين بالقومية الإسلامية، إذ دعوتموهم إلى الإسلام ورجعتم أنفسكم إلى جاهليتكم القديمة» ويقول : «ولما انتهى الخطاب فكأنما قد سال سيل الحب، وقلّما رأيت في جمع مثل هذا الحب والودّ وإبداء عواطف التقدير والثناء، وهذا دليل على رحابة صدر العرب، وسعة أفقهم وأريحيتهم، يصعب أن يوجد له مثيل بعد هذا الانتقاد اللاذع الشديد في أي شعب أو بلد آخر»[١٠٢] .

وحين قام برحلته إلى أوربا في سبتمبر عام ١٩٦٣م ألقى هناك أحاديث ومحاضرات منها حديث في المجلس الإسلامي بجامعة (إيدمبرا) وخطاباً في قاعة الاتحاد الطلابي بجامعة لندن، وكانت أهم محاضرة في جامعة لندن بعنوان «بين الشرق والغرب»[١٠٣] .

وفي رحلته الثانية إلى أوربا عام ١٩٦٤م، ألقى خطاباً مهماً في المركز الإسلامي في لندن أمام الطلاب والشباب، وألقى خطاباً في برلين للشعب الألماني في جامعة الهندسة بتاريخ ٢٧ أكتوبر ١٩٦٤م ، وفي طريق عودته عرّج على تركيا حيث ألقى في إستانبول خطاباً في مجموعة طيبة من صفوة المستمعين[١٠٤] .

وفي إقامته بمكة المكرمة في شعبان عام ١٣٨٧هـ، ألقى محاضرة في نادي الوحدة الرياضي بعنوان : «ميزان الربح والخسارة» ألقى فيها الضوء على موازنة الأرباح والخسائر، والنجاح والإخفاق، بعد هزيمة ١٩٦٧م واستيلاء اليهود على القدس والضفة الغربية وكيف ديس المجد والكرامة العريقة، وذكر أن طريقة استعادة هذا المجد الضائع، وسبيله إنما هو بالعودة إلى الإسلام، وأهاب بالعلماء العرب أن يتقدموا في المضمار وأن يضربوا أمثلة تحتذى، وكان له خطاب في شعبان من العام التالي ١٣٨٨هـ في قاعة المدرسة الثانوية في المدينة المنورة، حول هذا الموضوع نفسه، بعنوان «نظامان إلهيان للغلبة والانتصار» وقد عرّج في هذا العام على الكويت وألقى خطاباً في الموضوع نفسه، كان جوهره : «أن العالم العربي ليس في خطر من إسرائيل، بل من ذلك الضمير الذي ترك عمله وتخلّى عن مسؤوليته» وقد صرّح فيه بأن التغاضي عن الحقائق والواقع وتعطّل الضمير الإسلامي، وعدم احتساب القادة ومحاسبتهم، وقلة الاتعاظ والاعتبار بالحوادث والوقائع خطر حقيقي كبير وهذا هو الخطر الذي يواجهه العالم العربي»[١٠٥] .

وحين عصفت العصبية اللغوية والحضارية في باكستان وأدت إلى حادث انفصال باكستان الشرقية عن باكستان الغربية عام ١٩٧٢م كان ذلك حادثاً زلزل المسلمين ورجال الفكر، ظل الشيخ يترقب فرصة مناسبة حتى يخفف عن ألم قلبه وجرح فؤاده ، وفاجأته دعوة من كلكتة، فانتهزها، وتحدث بمشاعره الجريحة في محاضرة قوية مؤثرة[١٠٦] .

وفي زيارته للأردن عام ١٩٧٣م ألقى خطباً ومحاضرات في مختلف المدن والأماكن وخاصة السَّلْط وإربد[١٠٧] . وفي ١٩ أغسطس ١٩٧٣ كانت للشيخ تجربة مؤثرة في حياته، حين زار مركزاً للقوات المسلحة في المملكة العربية السعودية، وطلب منه أن يخاطب الجنود، يقول عن هذه التجربة : «فلما اصطف الشباب المسلحون، وحيونا بتحية إسلامية غمرتني موجة من سرور إيمان ونشوة، وأخذتني هزّة لم أعرفها من قبل، فأدمعت عينيّ، وفتقت قريحتي، فتكلمت بلسان القلب قبل أن أتكلم بلسان الفم»[١٠٨] .

وفي سفره هذا كان له خطاب آخر في المكتبة العامة بدبي بدولة الأمارات العربية المتحدة، وكان عنوان خطابه " كيف دخل العرب التاريخ ؟»[١٠٩] .

وحين سافر إلى الخليج عام ١٩٧٦م ألقى كلمة في الديوان الأميري بأبو ظبي، كان موضوعها: «نظرة مؤمن واعٍ إلى المدنيات المعاصرة»[١١٠] .

وفي زيارته للمغرب عام ١٩٧٦م حضر حفلة تأبين الزعيم (علال الفاسي)[١١١] رحمه الله ، وألقى كلمة في هذه الحفلة، ذكر فيها أنه بدأ حياته عالماً دينياً، إذ كان أستاذاً فاضلاً في جامعة القرويين، قبل أن يكون زعيماً سياسياً، وذكر ما بينه وبين علماء شبه القارة الهندية من شبه كبير، من حيث قيادة حركة التحرير للبلاد، ثم بيّن خصيصته الثانية، وهي دراسته للنظم والفلسفات المعاصرة بعمق ، ثم نوّه بخصيصته الثالثة المتمثلة في أنه كان أعرف بعلماء الهند ومفكريها من غيره من العلماء والمفكرين العرب[١١٢] .

وتهيأت للشيخ فرصة السفر إلى أمريكا في أبريل عام ١٩٧٧م وفي هذه الرحلة ألقى عدة خطابات متنوعة وصلت إلى عشرين خطاباً ومحاضرة، منها خطاب في

المركز الإسلامي في واشنطن، فألقى عدة محاضرات في خمس جامعات أمريكية، وألقى خطبة الجمعة في قاعة الصلاة بالأمم المتحدة، وجوامع تورنتو، ودترويت، وتحدث في هذه الخطب والمحاضرات بصراحة وواقعية[١١٣] .

وفي عام ١٤٠١هـ وهو بمكة المكرمة طلب منه الأمين العام لرابطة العالم الإسلامي – آنذاك – الشيخ محمد بن علي الحركان – رحمه الله – أن يفتتح دورة في المحاضرات لذلك العام، فقدّم محاضرة في موضوع «دور الحديث الشريف في تكوين المناخ الإسلامي وصيانته»[١١٤].

وفي مناسبة منحه الدكتوراه الفخرية في الآداب من جامعة كشمير، ألقى محاضرة بعنوان: «مكانة المثقفين الجامعيين ومسؤولياتهم» وكان ذلك في ٢٩ أكتوبر عام ١٩٨١م[١١٥] .

وفي سيلان ألقى كلمة في حفلة توزيع الشهادات العربية في الجامعة النظمية[١١٦]، وكانت له أيضاً أحاديث متعددة أمام الطلاب والمدرسين وأهل البلاد، وكان ذلك عام ١٩٨٢م[١١٧].

وفي رحلته إلى بريطانيا عام ١٩٨٣م تلبية للدعوة للمشاركة في تأسيس المركز الإسلامي في جامعة أكسفورد، ألقى محاضرة قيمة في موضوع "الإسلام والغرب»، وزار خلال إقامته المراكز الإسلامية، وألقى عدة خطابات ومحاضرات كان موضوعها المشترك عن مسؤولية المسلمين المقيمين في بريطانيا، والتنبيه إلى المنهج الصحيح، والنظر في الأخطار ومقاومتها. والحفاظ على الشخصية الإسلامية[١١٨] .

وفي زيارته إلى إمارة الشارقة، ألقى خطاباً[١١٩] في حفل افتتاح مكتبة الشيخ عبد الله العلي المحمود وتحويلها إلى مكتبة عامة في الشارقة وذلك في ١٢ صفر من عام ١٤٠٤هـ، ومكث أسبوعاً ألقى خلاله خطباً ومحاضرات، كان من أهمها محاضرته في جامعة العين بعنوان «أزمة هذا العصر الحقيقية» وخطابه في كلية البنات بالجامعة نفسها بعنوان «دور البنات المسلمات في المجتمع الإسلامي» وخطابه في مسجد سيدنا سعد بن أبي وقاص في «أبو ظبي» بعنوان «إلى الإسلام من جديد» وخطابه في مسجد سيدنا عمر بن الخطاب في الشارقة في تفسير قوله تعالى : ﴿فَلَوْلَا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أُوْلُوا بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الأَرْضِ إِلاَّ قَلِيلاً مِّمَّنْ أَنجَيْنَا مِنْهُمْ وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَا أُتْرِفُوا فِيهِ وَكَانُوا مُجْرِمِينَ﴾[١٢٠] .

وبعد ذلك توجه إلى الكويت حيث ألقى محاضرة بمناسبة بداية القرن الخامس عشر الهجري، بعنوان «الإسلام والمدنية الإنسانية» في جامعة الكويت، كما ألقى محاضرة أخرى بعنوان «الإسلام والحضارة الإنسانية»[١٢١] .

وفي زيارته للأردن عام ١٩٨٤م ألقى خطباً ومحاضرات عامة كان موضوعها الرئيس «الإسراء والمعراج» وما في ذلك من المعاني والأغراض والنتائج، والإشارة إلى انتقال الإمامة والقيادة، ومنصب الإرشاد والهداية من بني إسرائيل إلى المسلمين، وإعلان سيدنا محمد ﷺ للشعوب والأمم. وكان خطاب طويل في مسجد سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه بالزرقاء شهده جمع غفير، وألقى محاضرته الثانية في جامعة اليرموك، تناول فيها معركة اليرموك ودعا إلى أخذ الدروس منها، وألقى خطاباً في كلية العلوم العربية بعمان، وجّه الدعوة فيه إلى استعادة القوة المعنوية للمسلمين والحفاظ على خصائص الشخصية الإسلامية، كما ألقى كلمات في مجمع البحوث، وفي مسجد صلاح الدين بعد صلاة الجمعة كان موضوعها شخصية صلاح الدين وسيرته وخصائصه، وكان خطاباً حماسياً قوياً، وألقى كلمة في مركز الدعوة والتبليغ بعمان، أشار فيها على المشتغلين بهذا الطراز من الدعوة أن يراعوا البلد والجوّ ومتطلبات العصر، والمقتضيات المعاصرة، وأشاد بأهمية الأخلاق والمعاملات مع أهمية العبادات والأذكار ونبّه إلى المسؤوليات الفردية والاجتماعية للعاملين في مجال الدعوة، وعدم التغاضي عن حاجات العصر ومقتضياته وأخطاره.

وفي زيارته لليمن عام ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م ألقى خطاباً في جامعة صنعاء، تحدّث فيه عن شلاّل الإيمان والإخلاص الذي أكرم الله به هذه الأمة الإسلامية عامة، وأكرم به بلاد اليمن خاصة، حين شهد لهم لسان النبوة حيث قال رسول الله ﷺ ، حين جاء وفد اليمن : «أتاكم أهل اليمن، أرق أفئدة، وألين قلوباً، الإيمان يمان، والفقه يمان، والحكمة يمانية»[١٢٢] .

وكانت ثلاث محاضرات أخرى، إحداها في كلية الطيران، والأخرى في مركز المدرعات، والخطاب الثالث كان في جامع المشهد[١٢٣] . وفي بيت أحد تجار أهل تعز قدّم حديث شكر وتوجيه، وكان له في المساء خطاب في المسجد الجامع (جامع المظفّر) وكان موضوعه كلمة فاتح مصر سيدنا عمرو بن العاص رضي الله عنه، التي خاطب بها الجيش الإسلامي الفاتح والمسلمين عامة، وهي قوله : (إنكم في رباط دائم لكثرة الأعداء حولكم، وتشوّق قلوبهم إليكم)[١٢٤] . وفي الحديدة موطن شيخه خليل بن محمد اليماني، ألقى خطاباً موجزاً في مركز الدعوة والتبليغ هناك، وخطاباً آخر طويلاً في المعهد العلمي، أفاض فيه، وتحدّث عن عالمية اللغة العربية بفضل نزول القرآن الكريم[١٢٥] .

وفي سفره إلى بنغلاديش في مارس عام ١٩٨٤م ألقى خطابات في اجتماعات كبيرة، وكان أول خطاب في الجامعة الإسلامية، كان عنوانه «الحاجة إلى قدر نعمة الإسلام والشكر عليها» ، وكان أهم خطاباته ما ألقاه في المؤسسة الإسلامية، وكان موضوعه «الفتح للحب الصادق والإنسانية المخلصة» تناول فيه الخصائص والمميزات للشعب المسلم عن غيره من الشعوب؛ من حيث «الإخلاص، والعاطفة الإيمانية، وعاطفة التضحية والفداء، والبساطة، والشجاعة...»[١٢٦] ، وألقى خطاباً في الجامعة الإمدادية، وجّه فيها دعوة قويّة للعلماء للتبريز والبراعة في اللغة البنغالية، لما في ذلك من القيادة الأدبية والتفوق على أقرانهم في البلاد وألا يقصروا اهتمامهم وملكاتهم على الأردية والعربية فحسب، وأهمية اقتدارهم على الأساليب الأدبية الجديدة، وألا يتخلفوا عن ركب العلم والأدب والثقافة[١٢٧] . وألقى خطبة بالأردية في مسجد «بيت المكرم» قبل خطبة الجمعة، صارح الناس فيها بأن مصير هذه البلاد مرتبط بالإسلام، وأشار عليهم بما يحفظ إيمانهم وصلتهم بالتعاليم الإسلامية والحياة الإسلامية[١٢٨] .

وحين زار كراتشي وأقام بها أربعة أيام ألقى هناك ستة خطابات، كان الخطاب الأول في جامع بنوّري تاون الكبير قبل خطبة الجمعة بعنوان "الحاجة إلى إقامة مجتمع إسلامي على نطاق الشعب كله والبلاد كلها" وألقى محاضرة ثانية ، أثبت فيها أن المجتمع الصالح القوي هو أساس الحضارة والسلطة ومنبعها الأصيل، وفي المحاضرة الثالثة، كانت النقطة المركزية هي "مسؤولية السلطة الإسلامية الصالحة وبركتها وخيرها"، ثم كان له خطاب رابع في جامعة كراتشي أمام طلبتها وأساتذتها ومسؤوليها، ركّز فيها على موضوع سيرة الشباب وصلاحهم ودورهم القيادي، وقدرتهم على المحافظة على البلاد والإسهام في رقيها ورفع مستواها، ثم ألقى خطابه الخامس في الجامعة الإسلامية ببنوري تاون، ألقى فيها الضوء على مسؤولية العلماء وصفاتهم المطلوبة، ثم كان خطابه الأخير في جمعية نشر القرآن الكريم في مسجد الفرقانية حيدر أباد وكالوني، وكانت نقطة الخطاب المركزية كلمة سيدنا عمرو بن العاص " إنكم في رباط دائم»[١٢٩] .

وفي زيارته إلى المدينة المنورة عام ١٤٠٥هـ، ألقى محاضرة في نادي المدينة المنورة الأدبي بناءً على مطالبة سابقة من النادي في أن يلقي محاضرة فيه في موضوع أدبي، وقرّروا أن يكون موضوعها «دور محمد إقبال في توجيه الأدب والشعر» وكان له خطاب آخر في الجامعة الإسلامية، في موضوع «أزمة إيمان عالمية ومسؤولية

العلماء المسلمين» كما ألقى في هذه الرحلة خطاباً في نادي مكة الثقافي ، وألقى كلمة قيمة في حفل الاستقبال الذي نظمه ترحيباً بالشيخ عبد المقصود خوجة في يوم ١٥ ربيع الآخر عام ١٤٠٥هـ، نادى فيها بلسان محمد إقبال «قم يا باني الحرم وسادنه، قم لبناء العالم من جديد» تدبّر فيها قول الله تعالى : ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ إِلاَّ تَفْعَلُوهُ تَكُن فِتْنَةٌ فِي الأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ﴾[١٣٠] . وذكر أن العبرة بالقيمة لا بالقامة وقال: «لمن يقال هذا؟» لهذه الحفنة البشرية التي تألفت من المهاجرين والأنصار، تألفت من الأنصار أصحاب الدار والمهاجرين المغتربين، الذين لم يتجاوز عددهم خمسمائة وألف، ولقد حثّ الله على المؤاخاة الإسلامية، وربط المهاجرين بالأنصار، والأنصار بالمهاجرين، وأثار فيهم روح الأخوّة الصادقة، وحثهم على أن يكونوا وحدة جديدة، وحدة تقوم على الإيمان وعلى الكلمة، وعلى الترحّم للإنسانية، تقوم على المبدأ والعقيدة، فقال لهم: إذا قصّرتم في إنشاء الأخوة، وفي تكوين هذه الوحدة التي جهلها العالم وتناساها التاريخ - وبكلمة أصح - نسيها التاريخ منذ مئات السنين، إذا قصرتم في إنشاء هذه الوحدة التي تقوم على الرسالة الفاضلة وعلى الأخوة الصادقة المخلصة، فإنها تكون فتنة في الأرض وفساد كبير: ﴿إِلاَّ تَفْعَلُوهُ تَكُن فِتْنَةٌ فِي الأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ﴾.

«وما نسبة هذه القلة القليلة التي كانت تعيش في يثرب التي سُمّيت بعد ذلك بمدينة الرسول ﷺ، ما وزن هذه القلة وما عدد أفرادها ؟ ما وزن هذه القلة في الميزان السياسي، وفي الميزان الدولي، وفي الميزان الاجتماعي، حتى في الميزان العلمي؟ إنهم - كما اعتقد - لم يبلغ عددهم ألفين، وقد أجرى إحصاؤهم ثلاث مرّات كما ورد في صحيح البخاري، وكان عددهم في آخر إحصاء بلغ خمسمائة وألف نسمة[١٣١] .

فلمن يقال هذا ؟ هل يقال للرومان الذين سيطروا على نصف الأرض، والذين كانوا يتمتعون بأكبر إمبراطورية، وأكبر حضارة قامت في ظلّها، وبأكبر قوّة حربية وقوة دولية، وقوة سياسية، هل يقال هذا للفُرس الإيرانيين الذين كانوا توزعوا الرومان في بسط نفوذهم بالاستيلاء على الأرض المعمورة، كان هؤلاء الرومان والفُرس هم المؤثّرين في مصير الإنسانية، وهم الذين كانوا يجدّفون سفينة الحياة، وسفينة الحضارة، وهم الذين كانوا يتصرفون في وسائل الأمم - إذا صحَّ هذا التعبير- وفي أوضاع العالم، هل يقال لهم : ﴿إِلاَّ تَفْعَلُوهُ تَكُن فِتْنَةٌ فِي الأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ؟﴾ .

قيسوا سادتي وإخواني، قيسوا أولاً حجم الكلمة وروعتها، كلمة «فتنة في الأرض» ما أكبر حجمها وما أثقل وزنها، لم يقل «فساد» فحسب، بل «فساد كبير» .

إنه يقال لهذه المجموعة الصغيرة التي قام عليها الإسلام، وقامت على أعناقها رسالة الإسلام، إن قصرتم أيها المسلمون في تكوين هذه الوحدة الإسلامية الإيمانية الرحيمة العادلة، وإن لم تقيموا هذه الوحدة على الإخلاص، وعلى أساس الإيمان والتضحية والإيثار والتفاني، فلا نتيجة لذلك إلا أن تكون ﴿فِتْنَةٌ فِي الأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ﴾ .

هذه قيمة الأمة المسلمة حين كانت في عدد المئات، في عدد ألف أو ألفين، هذا هو التصوير الصادق، وإعطاء هذه المجموعة هذا الوزن الكبير، وهذه القيمة الكبيرة، وهذه المكانة الرئيسة في خريطة العالم، ومجموع الأمم، فثبت بذلك أن المسلم بقيمته لا بقامته، وأن الأمة المسلمة برسالتها وإيمانها وعقيدتها وفضلها الخلقي، وضميرها الحيّ، وبالروح المتغلغلة في الأحشاء، المسيطرة على الشعور وعلى العقل والتفكير، قيمة هذه الأمة في هذه الخصائص التي أكرمها الله بها، ليست بكثرة العَدد والعُدد، وبكثرة المساحة المكانية التي تسيطر عليها وتحكم فيها، ولا بالفخامة وبحجم المساحة الزمانية التي تؤثر

فيها. إنني أنظر إلى هذه المجموعة بهذا المقياس، وبمكبّرة الإسلام، المكبّرة التي أعطانا الإسلام ..»[١٣٢] .

وفي رحلته إلى بريطانيا لافتتاح المركز الإسلامي في أكسفورد عام ١٩٨٥م ألقى كلمة مختصرة بالعربية[١٣٣] في جلسة الافتتاح في ١١ أكتوبر ١٩٨٥م، وكان جوهر خطابه «إن قيام هذا المركز الإسلامي في جامعة أكسفورد مبشّر بالخير، تنفتح به أبواب جديدة من المعرفة الصحيحة والتفاهم، وتتكشف سبل جديدة للبحوث والدراسات العلمية، لا بد من تعميم الوعي الصحيح لما قدّمه الإسلام من دروس الإنسانية والسعي لرفع الإنسان نحو الذروة السامقة والقمة العالية، كانت البشرية تئن تحت وطأة الدمار والهلاك، وكادت تلفظ نفسها الأخير، فقام النبي ﷺ، ونفخ فيها روح الحياة وبعثها من جديد، وإن التقدّمات الهائلة التي أحرزها الإنسان في القرون التالية، تدين لهذا الجهاد العظيم في سبيل إنقاذ البشرية، والرسول ﷺ هو الرائد لهذا الجهاد والقائد لهذا الكفاح، ولولا قيامه بهذه الجهود للأخذ بيد البشرية، لما كان لهذه الجامعات والمؤسسات عين ولا أثر، ولا تزال أياديه رحمة للعالم إلى يومنا هذا، فتأسيس هذا المركز الإسلامي ليس فضلاً من الجامعة ومنة منها، وإنما هو اعتراف بالجميل، وأداء للواجب، وإنما هي هدية الحب والتقدير وتقدّم إلى الإسلام عن طواعية وطيب نفس»[١٣٤]. وقدّم سماحته قبل مغادرته لندن خطابات في «المركز الخيري الإسلامي» و«مركز المسلمين الخيري» و «المركز الإسلامي»[١٣٥] .

وفي احتفال عام لهيئة قوانين الأحوال الشخصية، عقد الاحتفال العام في أبريل ١٩٨٥م في ميدان «منارة الشهداء» وقدّر عدد الحاضرين بنصف مليون إنسان، وخاطب الشيخ جميع المسلمين هناك بصفة خاصة، وحاسبهم بصراحة، ونبهّهم إلى أن مخالفة القوانين الإلهية، والتقصير في طاعة الخالق وتجاوز حدوده يؤدي إلى الفساد والمحن[١٣٦] . وفي زيارته لتركيا عام ١٩٨٦م، كان له لقاء مع الطلبة العرب وألقى فيهم كلمة وجيزة، وكانوا في شوق وأمل[١٣٧] .

وفي طريق العودة أقام مدة قليلة في كراتشي ألقى فيها خطابين؛ الأول بعنوان «الأخطار على المجتمع الإسلامي وطريق مقاومتها» والثاني خطاب مفصّل في موضوع الديانات والملل والأخلاق، وتاريخ سقوط الأمم وانحطاطها ورقيها، ونفسية المجتمع البشري وأوضاعه، وكان خطاباً مؤثراً[١٣٨] . كما ألقى أيضاً خطاباً في المسجد الجامع بحي سينّوري تاون في موضوع «الشكر على النعم» ثم كانت له محاضرات أخرى في مدارس وجامعات ومراكز دينية واجتماعات إسلامية[١٣٩] .

وفي سفره إلى ماليزيا عام ١٩٨٧م ألقى عدة محاضرات، فألقى في تركانوا خطاباً بالعربية قبل صلاة الجمعة ونقله إلى الماليزية الشيخ عبد الهادي، وكان بعنوان «إلى الإسلام من جديد» ، ثم خطب بعد صلاة العصر في قاعة زين العابدين خارج المدينة ، ثم ألقى في مركز التبليغ بكوالاتزفكانو ويقع في مسجد كبير محاضرة عن أهمية التعليم الديني، ثم زار مقر الجامعة الوطنية وألقى خطاباً حول موضوع تعليمي، كما قدّم خطاباً في يوم ٥ أبريل ١٩٨٧م في قاعة المدينة الكبيرة، وفي مدينة قدح ألقى خطاباً يوم ٦ أبريل أمام طلاب معهد التربية الإسلامية وأساتذته ، كما ألقى في المساء خطاباً في مؤسسة الشؤون الزراعية المركزية، وبعد أن عاد إلى كوالالمبور قدّم خطابين؛ أحدهما في مركز جماعة التبليغ، والثاني في مركز حركة «أبيم»[١٤٠] . وفي زيارته للجامعة الإسلامية العالمية ألقى خطاباً، وبعد العصر ألقى خطاباً في مركز «الحزب الإسلامي»[١٤١] .

وحينما زار المملكة المتحدة عام ١٩٨٧م ألقى محاضرة بالعربية في جامعة أكسفورد بعنوان : «دور

الإسلام التاريخي في نشر العلم النافع الصحيح وقيادة البشرية وإصلاحها عن طريقه»[١٤٢] وفي دولة الإمارات ألقى عام ١٩٨٨م عدة محاضرات؛ منها محاضرة بعنوان «ترشيد الصحوة الإسلامية» ألقاها في المجمع الثقافي[١٤٣]، كما كان له محاضرة في اليوم نفسه في كلية الدراسات الإسلامية بدبي، في تفسير قوله تعالى : ﴿إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى﴾ إلى قوله تعالى : ﴿لَقَدْ قُلْنَا إِذًا شَطَطًا﴾ وألقى محاضرة بعد المغرب في قاعة المحاضرات بالشارقة تحدث فيها عن انطباعاته عن المدنيات والحضارات[١٤٤] .

وفي زيارته لأكسفورد عام ١٩٨٩م ألقى في قاعة المركز الإسلامي محاضرة أثبت فيها أنّ منة سيّد المرسلين وخاتم النبيين محمد بن عبد الله، ﷺ، ليست على المسلمين فحسب وإنما كانت على الإنسانية بأسرها[١٤٥] .

وفي عام ١٤١٠هـ كان في الرياض وألقى كلمة في الطلبة المتخرجين في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية دعا فيها المتخرجين إلى الشعور بمسؤوليتهم، وكان فيهم طلبة من دول العالم الإسلامي، فحثهم على تأدية هذه المسؤولية بعد عودتهم إلى بلادهم وأن يمثلوا العلم والدين تمثيلاً صحيحاً، وأن يقاوموا الأخطار والتحديات التي تحدق بالمجتمع الإسلامي، وأن يشتغلوا بالدعوة والإرشاد[١٤٦] . وفي منزل الشيخ عبد الله علي بصفر في جدة ألقى الشيخ كلمة مفصلة في موضوع «حاجة العالم الإسلامي إلى مجتمع مثالي»[١٤٧] .

وحينما شرّف محمد صيام الإمام السابق للمسجد الأقصى دار العلوم ندوة العلماء في ١٢ شعبان ١٤١٢هـ - ١٧ فبراير ١٩٩٢م، أقام الشيخ له استقبالاً حافلاً وألقى كلمة ترحيبية بهذه المناسبة، وأعيدت في هذا الاحتفال كلمته المسجلة التي ألقاها في المجلس التأسيسي لرابطة العالم الإسلامي بمناسبة حضور السيد ياسر عرفات زعيم حركة فتح لتحرير فلسطين، أبدى فيها مشاعره ومشاعر المسلمين إزاء قضية فلسطين[١٤٨] .

وفي رحلته لإنجلترا عام ١٩٩٢م ألقى في المؤسسة الإسلامية محاضرة جعل موضوعها آية في القرآن الكريم، وكانت المحاضرة عن «دور الأمة الإسلامية في إنقاذ البشرية» فتحدث بالعربية أولاً، ثم خاطب الحاضرين بالأردية، ثم قدمت خلاصة باللغة الإنجليزية[١٤٩] .

كما ألقى خطاباً عاماً في المركز الإسلامي بلندن عن واجب الجالية الإسلامية ودورها البلاغي والنموذجي، ركّز فيها على قصة ربعي بن عامر رضي الله عنه في مواجهته الدعوية للقائد الفارسي رستم، التي تعبر عن إيمانه وجرأته واعتداده بسمو رسالته[١٥٠].

ب - كلمات وخطابات في ندوات ومؤتمرات وملتقيات:

في إطار اهتمامات الشيخ أبي الحسن بقضايا المسلمين، دعا المثقفين المسلمين والمسؤولين من مختلف المؤسسات والمدارس الفكرية إلى ندوة استشارية تبحث قضايا الملّة الإسلامية تعقد في ندوة العلماء في شوال عام ١٣٦٧هـ، وقدم مقالاً مهماً معبراً حدّد فيه معالم الطريق[١٥١] .

وفي المهرجان التعليمي لدار العلوم بمناسبة مرور ٨٥ عاماً على نشوئها، الذي أقيم في شوال عام ١٣٩٥هـ، قدّم كلمة مهمة اشتملت على دراسة تاريخية، وتحليل علمي في ضوء فلسفة التاريخ للعهود الإسلامية في الهند، ودعا فيها للتأمل والتفكير، خاطب فيها الضيوف من العرب ومندوبي العالم الإسلامي، وخاطب فيهم مستوى الداعية الرفيع بالنسبة لأي مستوى آخر فيهم، وقدّم لهم تجارب مسلمي الهند وحميتهم الدينية[١٥٢] . وألقى في المؤتمر الإسلامي بدمشق في ٢٦ يونيو ١٩٥٦م كلمة بعنوان «ارتباط قضية فلسطين بالوعي الإسلامي»[١٥٣]، وفي مؤتمر رابطة العالم الإسلامي الأول في ذي الحجة عام ١٣٨٤هـ ألقى مقالة بعنوان "تمثيل الحياة الإسلامية

الصحيحة مسؤولية البلد الأمين" وأنه يجب أن يحافظ دائماً على خصائصه ومكانته[١٥٤] .

وفي مؤتمر رابطة الجامعات الإسلامية التي عقد في الرباط في مايو ١٩٧٦م، ركّز في كلمته على أن الحركة العلمية الكبرى في العالم الإنساني، والحركة التأليفية والكتابيّة الكبرى في النوع البشري إنما نبعا من نبّوة نبيٍّ أميّ ﷺ، وذكر أن «ارتباط هذه الحركة العلمية وهذه الخدمة الهائلة للعلم والثقافة – التي كانت هذه الأمة حاملة لواءها – بهذه الأميّة يثير تساؤلاً تاريخياً يتطلب من عقلاء العالم ورجالات فلسفة التاريخ إجابة مقنعة عليه»[١٥٥] .

وفي لقاء ضيوف المؤتمر بالملك الحسن، ألقى الكلمة نيابة عن الضيوف، وقال بعد التحية بالسلام : «إنني أسعد بتبليغ رسالة كريمة إليكم عن العالم الإسلامي، أراها أمانة في عنقي، ومسؤولية على عاتقي، وهي أن المسلمين اليوم في مشارق الأرض ومغاربها، ينتظرون بفارغ الصبر، أن يطلع من أفق العالم الإسلامي نجم جديد، يعلقون به آمالهم، وإنهم يعيشون وضعاً مترد ياً عصيباً عجيباً، يحتاجون فيه إلى قائد عصامي، مؤمن ألمعي، يمتاز بإخلاصه ويقينه، وعزمه الراسخ، وقلبه الواثق»[١٥٦].

وفي رحلته لأمريكا بدعوة من المنظمة الإسلامية الأمريكية لحضور مؤتمرها السنوي في مايو ١٩٧٧م ألقى خطابه في موضوع: «العلاقات بين العاملين للإسلام»[١٥٧].

وفي المؤتمر الآسيوي لرابطة العالم الإسلامي في باكستان عام ١٩٧٨م، أُسند إليه الخطاب في الجلسة الأخيرة، وبدأ كلامه بثلاثة أبيات؛ بيت عربي ، وبيت فارسي، وبيت أردي؛ وكان البيت العربي :

حمامة جَرْعى دومة الجندل اسجعي

فأنت بمرأىً من سعادٍ ومسمع

ثم ذكر أن الرسالة التي ينبغي أن يحملها المؤتمر والحاضرون، وهي روح المؤتمر وجوهره، كانت تلك الكلمة الجليلة، التي صدع بها أبو بكر الصديق رضي الله عنه، خليفة رسول الله ﷺوهو قولته: (أيُنْقَصُ الدين وأنا حيّ؟!!)[١٥٨].

وأُسند إليه في مؤتمر السيرة العالمي في قطر[١٥٩] كلمة الوفود، وكان خطابه مرتجلاً، تحدّث فيه بما فتح الله عليه، ويحدثنا عن تلك اللحظات وما فيها من مشاعر خاصة ، فيقول : «وجاءت نوبتي في الخطاب فشعرت بأن عقلي وقلبي تغمرهما عذوبة هذا الموضوع، وحب ذلك النبي الطاهر الذي انتسب إليه، والشعور بعظمته ومكانته، فكأنني أشعر بلحظات صفاء وإشراق، وتنهال عليّ الكلمات والمعاني، وهناك علمت بحكمة كوني لم أعد المقال أو المحاضرة من قبل... وقلت: إن هذه الجزيرة يجب أن تعرف نعمة الإسلام، وألا تكون كنوداً، اسمحوا لي أن أقول بكل صراحة : ألا تكون كنوداً أمام هذه النعمة الجسيمة، التي أخرجت جزيرة العرب من عالم الخمول، ومن عالم التناحر، ومن عالم الجاهلية الشنعاء الرذيلة الخسيسة، الموغلة في السفالة والجهالة، أخرجت هذه البعثة المحمدية، هذه الجزيرة العربية من لا شيء إلى كل شيء؛ فكل ما جاء في هذه الجزيرة هو من فضل البعثة المحمدية، وإنني أستحضر الآن بيتاً لشاعرنا وشاعر الإسلام الذي أصبح ترجماناً للفتوة الإسلامية، وللشهادة الإسلامية، محمد إقبال، اسمحوا لي أن أنشده أولاً بلغته التي قال فيها هذا الشعر، فإن هناك عدداً من إخواننا الباكستانيين :

ازدِم سيرابِ آل أُمّي لقب

لا له رُست دَرِيَل صحراء عرب

يقول : «لقد هبّت نفحة من نفحات محمد النبي الأمي – عليه الصلاة والسلام – وفاضت قطرة من ماء الحياة من فمه الذي لم يكن ينطق إلا بالوحي، فنشأت جنّات وحدائق، وفاحت روائح عبير من صحراء العرب»[١٦٠] .

وفي الندوة العالمية للأدب الإسلامي، التي عقدت في

ندوة العلماء بلكنهؤ في أبريل عام ١٩٨١م، وكان موضوعها «البحث في الأدب العربي وآداب اللغات الأخرى عن العناصر الإسلامية»، ألقى سماحته الكلمة الافتتاحية[١٦١]، وفي مؤتمر «الإسلام والمتشرقون» بدار المصنفين بأعظم كره ، الذي عقد في المدة من ٢٦- ٢٨ ربيع الآخر ١٤٠٢هـ/ ١- ١٩٨٢، قدم كلمة بالأصل باللغة العربية، ونظراً لأن أكثر الحاضرين لا يفهمون العربية، ألقى كلمة بالأردية[١٦٢]، وفي الملتقى السادس عشر للفكر الإسلامي في الجزائر الذي انعقد في ١٠ شوال ١٤٠٢هـ قدم محاضرته في موضوع «طبيعة هذا الدين وسماته البارزة» ألقى فيها الضوء على مكانة النبّوة ودورها، وأهمية العقيدة الصحيحة، والحاجة إلى الحديث والسنة الشريفة[١٦٣] .

وفي الندوة التي عقدت بدلهي في المركز العالمي في ١٩٨٦/٥/٤م عبّر في كلمته عن أحاسيسه ومشاعره، وقال: «يبدو أنه دق جرس الخطر الكبير في طول البلاد وعرضها»[١٦٤] ، وفي مؤتمر رابطة العالم الإسلامي الثالث، الذي عقد بمكة المكرمة في ١٨-٢٢ صفر ١٤٠٨هـ/١٩٨٧، كانت محاضرته بعنوان «الجبهات الحاسمة للدعوة الإسلامية في العصر ومجالاتها الرئيسية» وكان له أيضاً خطاب في موضوع «حرمة الحرمين الشريفين» وكان مسروراً لأهمية هذا الموضوع ومناسبته لأن يتقدم ببعض الكلمات المهمة الضرورية ، ويقول : «وقد شعرت في هذا الخطاب ببركة عجيبة، لعلها بركة هذا المكان، وشعرت بنفحات طيبة منعشة من نفحات الحرم، بدأت خطابي بآية من سورة الحج[١٦٥] ، وهي قوله تعالى : ﴿وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [١٦٦] ، كما ألقى خطاباً أخيراً في المؤتمر يوم الأربعاء ١٤٠٨/٢/٢١هـ [١٦٧] . وألقى سماحته خطبة مرتجلة في الاحتفال العام بكلكتة في المدة من ٦-٨ أبريل ١٩٨٥م الذي نظمته هيئة قوانين الأحوال الشخصية[١٦٨]. وفي الاحتفال الثامن للهيئة في بمباي في المدة من ١٥-١٦ ديسمبر ١٩٨٦م، استعرض في كلمته الأوضاع والظروف، وقدّم إنذاراً صريحاً من خطر قوانين الأحوال الشخصية المشتركة، أو القانون المدني الموحد، وكان استعراضه واقعياً وشاملاً[١٦٩] .

وألقى الكلمة الافتتاحية في الندوة العلمية التي عقدها مكتب رابطة الأدب الإسلامي في الهند ، عن المدائح النبوية[١٧٠]، وكان موضوعها «جوانب السيرة المضيئة في المدائح النبوية الفارسية والأردية»[١٧١] ، وفي ١٥ نوفمبر ألقى كلمة أعضاء المجلس التأسيسي لرابطة العالم الإسلامي[١٧٢] .

وفي ندوة «تأثير حركة الإمام أحمد بن عرفان الشهيد على الأدب الأردي»[١٧٣] ألقى خطاباً في الجلسة الأخيرة[١٧٤] ، كما قدّم مقالاً بعنوان «مأثرة شيخ الإسلام الحافظ ابن تيمية الكبرى» في الندوة العلمية عن ابن تيمية في الجامعة السلفية ببنارس[١٧٥]، وبيّن أن تلك المأثرة تمثّلت في التركيز على أن النبوّة هي الوسيلة الوحيدة للمعرفة الصحيحة والهداية الكاملة[١٧٦] .

وفي ندوة رابطة الأدب الإسلامي بتركيا[١٧٧]، في موضوع «الأدب الإسلامي للأطفال»، ألقى كلمته التي بيّن فيها حقيقة الأدب ودوره القيادي ، وذكر أن كلمة الأدب، انتقلت من اللغة العربية إلى اللغة الأردية والتركية ، وقال: «فينبغي للأدباء والكتّاب ألا يغفلوا هذا الجانب للأدب، ويضعوا الخلق موضع عنايتهم وتقديرهم، ولاسيما في هذه الأيام التي يستعمل فيها الأدب ، كأداة قوية مؤثرة للهدم والبناء، والإفساد والإصلاح، والخير والشر، ويجب علينا أن نقوم بدعم صلة الأدب بالخلق إذا تسرّب إليها الضعف والذّبول»[١٧٨] .

وفي أعقاب الغزو العراقي للكويت، انعقد مؤتمر رابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة، وقصر مقاله الذي

قدّمه لهذا المؤتمر على الإشارة إلى هذا الغزو غير الديني، وغير الخلقي، وغير المبدئي، الذي لا مبرر له، والمتنافي مع الضمير الإنساني، ومبادئ الأخلاق العامة، والقوانين الدولية، فضلاً عن التعاليم الإسلامية السامية النبيلة، وأكّد على ضرورة إيقاظ الوعي الديني، وإنشاء الحركة الإصلاحية، وأشار إلى حياة البذخ والترف، ودعا إلى هجرها، واستعرض هذا الاحتلال، ودرس أبعاده، وملابساته الخطيرة، التي تبعث على القلق، وتهدد سلامة المناطق المقدسة، وتنذر بتمزيق الوحدة العربية الإسلامية[١٧٩].

وتحدّث سماحته في المؤتمر الذي عقدته جمعية المثقفين المسلمين احتجاجاً على عدوان العراق على الكويت في الثاني من أغسطس عام ١٩٩٠م، واستنكر في حديثه المفصّل، ذلك العدوان وكان مما قال : «إن المأساة الكبرى التي ظهرت بإجراء صدام حسين هي أن السُّمعة الخلقية، والدعوة الإنسانية للإسلام قد أصيبت بضرر، لا يمكن أن تعود إلى حالتها في مدة قريبة، وقد نكست رؤوس المسلمين خجلاً وحياءً، وكيف يسوغ لهم أن يشكو ظلم غيرهم، بعد أن اعتدى بلد كبير على بلد صغير مجاور، يتكلم لغته، ويتّبع دينه، واستولى عليه..» وقال أيضاً : «إن العراق هو البلد الذي عاش فيه الفقهاء والمحدّثون، كالإمام أبي حنيفة، والإمام أحمد بن حنبل، والمشايخ الربّانيوّن .. فجّروا روافد العلم، ونوّروا العالم بروحانياتهم...»[١٨٠]، وألقى كلمة ضافية عن العلمانية، وأهميتها للمجتمع في ٦ أكتوبر ١٩٩١م في ندوة تحت إشراف جمعية المثقفين المسلمين لعموم الهند في مدينة لكنهؤ، ووصف العلمانية بأنها شجرة تذب الحيات[١٨١] .

وفي مؤتمر السيرة النبوية، الذي انعقد تحت إشراف الجامعة الإسلامية في بنارس، (دار العلوم المركزية)[١٨٢]، أعدّ مقالاً باللغة العربية، بحث فيه الدور القيادي لشيخ الإسلام ابن تيمية، وبيّن مجهوده العلمي المتميز في إثبات أن النبوة هي المصدر الوحيد لعلم حقائق الدين، ومعرفة الذات الإلهية، ومعرفة صفات الله تبارك وتعالى، وأن جميع المصادر الأخرى تحتمل الظن، وهي موضع الشك والارتياب[١٨٣] .

وفي الاجتماع السنوي العاشر لهيئة قانون الأحوال الشخصية الإسلامي الذي انعقد في دلهي[١٨٤]، قدّم الكلمة الرياسيّة المفصلة[١٨٥] . وفي الندوة العلمية لرابطة الأدب الإسلامي السابعة التي عقدت في مدينة بوفال[١٨٦]، وكان موضوعها «أدب الإصلاح والدعوة» قدّم كلمة ضافية عن الكلمة الطيبة مستشهداً بقوله تعالى: ﴿**أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ**﴾[١٨٧]، كما ألقى الكلمة الاختتامية للندوة[١٨٨]. وفي مؤتمر التعليم الديني في مراد أباد ألقى كلمة الرياسة[١٨٩].

وفي الجلسة الأولى للهيئة العامة لرابطة الأدب الإسلامي[١٩٠]، ألقى كلمة الرياسة لهذه الجلسة[١٩١] . كما ألقى كلمة في الجلسة الختامية[١٩٢] . وفي الخامس من سبتمبر، عقد اجتماع إسلامي باسم «دولة الأمة»[١٩٣] اشترك فيه، وقدّم مقالته حول «مساوئ الحضارة الغربية، ونقدها، وإظهار اليأس منها، وقد عدّ الشيخ هذا المقال، وما أتيح له في هذا المؤتمر من التعبير عن تصوراته، حصيلة رحلته إلى شيكاغو[١٩٤] . وكان المقال قوياً قد أعد إعداداً جيداً[١٩٥] .

وفي مناسبة الاحتفال بإقامة مركز علمي في سمرقند في جوار المسجد الواقع بغرب الإمام البخاري، تذكاراً وتخليداً لخدماته في تدوين الحديث، وتعريفاً بها[١٩٦]، ألقى كلمته في الاجتماع باللغة العربية، أشار فيها بما ساوره من شعور غامر بأن جو المؤتمر لا يليق بمكانة إمام الحديث، والذي كان يجب أن يسوده جو من الحب والاحترام، وقال : « .. إن الاحتفال الذي يعقد لتخليد ذكرى بطل من الأبطال تلقى فيه كلمات، وتستخدم فيه لغة يشعر بها المستمعون بالفروسية والفتوّة والبطولة.. وإذا

عقد احتفال للتعريف بأديب وشاعر، أو التنويه به، تسود البيئة الأدبية والبلاغة ويشعر الحاضرون بتلك المزايا، كذلك إذا عقد احتفال في ذكرى مصلح أو داعي انقلاب، فلكل مناسبة لغة وتعبير، وجو يعكس على المستمعين مزايا تلك الشخصية التي تقدّم كنموذج، ولكن مع الأسف أشاهد من البداية أن الإمام البخاري – رحمه الله – يذكر في هذا المجلس الموقر، وتعرض خدماته، ويعرّف بشخصيته، ولكن لا يخيّم على الجو موضوعه ومزاياه، ولم يقدّم بحث، ولم تبيّن حقيقة ترشد على منهج الحياة، وتحدث عاطفة لقضاء الحياة في ضوء النبوة والرسالة، والأحاديث النبوية الشريفة، ولذلك أقرأ عليكم الحديث الأول في صحيح البخاري ، وإني اعتذر أنه لا يمكن تمهيد أو تقديم أفضل منه، لأي كتاب، وقد أوضح الإمام البخاري – رحمه الله– بإيراد هذا الحديث سبب تأليف هذا الكتاب ونيته، وأرشد طلبة العلم إلى المنهج الذي يجب أن يقضوا به الحياة، وما هي النيّة التي يجب أن يحملوها، ويقصدوها، وذلك الحديث الأول هو الحديث الآتي: «إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوى، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله، فهجرته إلى الله ورسوله، ومن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها، أو امرأة يتزوجها فهجرته إلى ما هاجر إليه[١٩٧]» . إنّ هذا الحديث يطالبنا بأن تكون سائر أعمالنا لرضا الله، وأن يكون الحصول على الأجر والثواب بُغيتنا، ودستور حياتنا، ومبدأ أعمالنا.

«وفي الختام قرأت الحديث الآتي، وهو الحديث الذي ختم به البخاري كتابه: «كلمتان حبيبتان إلى الرحمن، خفيفتان على اللسان، ثقيلتان في الميزان: سبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم»[١٩٨] .

وفي جلسات المؤتمر، ألقى الشيخ مقالة بعنوان : «الإمام محمد بن إسماعيل البخاري وكتابه صحيح البخاري، مكانتهما في تاريخ الإسلام والدين والعلم والمكتبة الإسلامية العالمية»[١٩٩] .

ج – خطابات عامة في تجمعات جماهيرية شعبية :

لما كانت الصفة الغالبة على الشيخ – رحمه الله تعالى – هي الدعوة ، والمهمة التي ارتضاها لنفسه وجعلها عمله الأساسي في حياته ، هي مهمة الداعية ؛ فإنه لا يكاد يترك فرصة يجد فيها تجمعاً إلا ويكون له فيه حديث ، مهما كان يومه مزدحماً باللقاءات الرسمية، والمحاضرات المبرمجة، والخطابات المجدولة في مواعيد محددة؛ ولهذا نجد له تراثاً ضخماً من الخطابات والكلمات، ولهذا كان يحرص على الرحلات الدعوية، وما يحصل فيها من لقاءات دعوية وسط الناس وتجمعاتهم؛ وما ينتج عنها من تأثير وتأثر.

وغالباً ما تكون هذه الخطابات مرتجلة مباشرة، ومن ذلك خطابه في الاحتفال العام بالسيرة النبوية في بشاور[٢٠٠] ، وكانت نقطته المركزية، دعاء الرسول ﷺ، في بدر، وهو يناجي ربه : «اللهم إن تَهْلك هذه العصابة لن تعبد»، ويصف حال استرساله في الكلام، وحال مستمعيه بقوله: «ولا أدري من أين كانت تنثال علي المعاني، ومن أين جاءتني تلك القوّة والطلاقة في اللسان، حتى كنت أنا أيضاً أجري في كلامي، وأندفع في تيار المعاني، وكان الجمع في تأثر وإعجاب غامر، وانفعال عجيب، وقد ذكر لي بعض المشاهدين أن السردار عبد الرب نشتر[٢١٠] ، كان قد غطّى وجهه بمنديله، من شدة وجده وبكائه، ولما انتهى الخطاب جاء عدد من الأفغان، وقالوا : بما تأمر؟ مرنا بما تشاء، فنحن في خدمتك[٢٠٢] .

«كان الخطاب قد أحدث في بشاور جوّاً أدبيّاً خاصّاً، وكان هو حديث المحافل والنوادي.. فاستفدت من هذا الجو للدعوة إلى العمل الدعوي على طريقة حركة التبليغ..»[٢٠٣].

وفي زيارته إلى الشام[٢٠٤] ، ألقى في مركز الإخوان المسلمين بحمص خطاباً حماسياً مثيراً، وكان له خطاب آخر مثله، في اجتماع كبير بحلب، ذكر فيه سرّ

انتصار العرب وغلبتهم في الماضي، وميزة الدعاة المسلمين والفاتحين في القرن الأول[٢٠٥] .

وبعد عودته من مصر والشام، عقد احتفالاً عاماً مشتركاً، حضره المسلمون وغير المسلمين[٢٠٦]، في عدد كبير، وألقى فيه خطاباً بعنوان «عبادة الله أو عبادة النفس؟» ذكر فيه المنهجين المتعارضين للحياة والديانات العالمية التي اقتسمت العالم البشري، وشرح نتائجهما وتأثيرهما على الحياة الإنسانية[٢٠٧] .

والدعوة في المجال الشعبي، وفي هذه الاجتماعات المشتركة بين المسلمين وغيرهم تجربة جديدة، واتجاه جديد قاده إليه جهازه الفكري والتربوي، وكان يهدف من مخاطبة غير المسلمين وخاصة المثقفين منهم، مع مراعاة أجوائهم وعقلياتهم، أن يعرّفهم بالإسلام، وأن يزيل ما في نفوسهم من وحشة منه، أو سوء فهم، وأن يحثهم بهذا الأسلوب على دراسة الإسلام وسيرة نبيه عليه الصلاة والسلام بعمق وإنصاف، وأن يلفت أنظارهم إلى الأخطار المحدقة بالبلاد والمجتمع، الذي يعيشون فيه معاً، بسبب الإفلاس الروحي والعقائدي، والانهيار الخلقي، وسيطرة الشره للمال والنظرة المادية[٢٠٨] .

وفي رحلته الثالثة لإنجلترا، وكانت رحلة طويلة[٢٠٩]، زار فيها مدناً كثيرة منها (برمنجهام، مانشستر، بليك برن، شيفلد، ديوزبري، ليدز) ألقى خطابات في تجمعات المسلمين في تلك المدن، وكانت عامة خطبه وأحاديثه " تدور حول تذكير المسلمين بمسؤوليتهم الدعوية، وإثبات وجودهم ونفعهم للبلاد، والحفاظ على خصائصهم ومعتقدات الجيل الناشئ في هذه البلاد وتربيته على الأسس الإسلامية»[٢١٠]، كما زار جلاسجو، وألقى بعض الخطب بالأردية والعربية[٢١١].

وفي زيارته لأمريكا ألقى عدة خطابات ، منها كلمة أمام الأخوة العرب ، وكلمة أخرى عامة في صورة حديث حرّ[٢١٢] .

وألقى أمام الجمع الحاشد العظيم الذي جاء للمشاركة في احتفال دار العلوم ديوبند المئوي خطاباً بالأردية وكان المقرر أن يكون الخطاب بالعربية، ولكنه رأى أن الخطاب بالعربية، أمام هذا الجمع الذي يمتد مدّ البصر «عمل صناعي ميكانيكي، لم يوافقه ضميري، وكنت أشعر – وقد علمت بذلك إلى حدٍ ما – بأن هذا الجمع الذي جاء من كل صوب وحَدَب من الهند لم يسمع حتى الآن شيئاً يرجع به، ويكون زاد سفره، وشحنة جديدة في إيمانه وعقيدته، وقوي عندي الدافع برؤية هذا الجمع إلى خطاب يرجع بسماعه هؤلاء الناس البسطاء، الذين اجتمعوا من البقاع والأماكن النائية، وهم في شوق للقاء العلماء والصالحين، وسماع كلام الله تعالى، وحديث الرسول ﷺ بشعور بمسؤوليتهم وواجبهم، كأمة ذات دعوة ورسالة، وصاحبة شريعة ونظام، وبثقة جديدة، وعرض نماذج حياة إسلامية في الهند، وإلا نحمل – نحن الدعاة والعلماء – وزر السؤال غداً عند الرب تبارك وتعالى، لماذا دعوتم هؤلاء الناس؟ ولماذا جمعتموهم على هذه الأرض؟

«فقلت بضع كلمات بالعربية اعتذرت فيها إلى الضيوف عن الخطاب[٢١٣] بالعربية، وقلت : إن هذا الجمع العظيم يستحق الخطاب في لسانه، وجاءني شوق وحنين إليه، ولذلك فإني أخاطبهم بالأردية، فبدأت الخطاب، وكنت أشعر أن المعاني تتثال عليّ، وأن ذلك لسبب هؤلاء المستمعين البسطاء الطيبين، الذين جاؤوا لسماع حديث الدين[٢١٤] .

ومن خطاباته العامة، خطابه للطلبة العرب الذين يقيمون بها للدراسة في جامعة (ناكبور) الهندية ، في عدد كبير[٢١٥] .

وفي السعودية كان للشيخ حديث في مجلس نظمه الشيخ عبد الله علي بصفر ، ثم كان له محاضرة موسعة باللغة الأردية، وجهها إلى الإخوان الهنود والباكستانيين، وكان جمعهم حاشداً امتلأ بهم مسجد

الجوهرة في العزيزية[٢١٦]، وكانت المحاضرة تدور حول تفسير قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴾[٢١٧] .

ولما كان في تركيا عام ١٩٨٩م في شهر أغسطس[٢١٨] ، سنحت له فرصة إلقاء كلمة عامة أمام تجمّع كبير من المسؤولين في المدارس الدينية، وكذلك العاملين في حقل الدعوة الإسلامية، والمنتمين إلى جماعة الدعوة والتبليغ، وذلك في مسجد واسع يدعى (سلام)[٢١٩]، وألقاها باللغة الأردية، ونقلها إلى التركية عالم تركي[٢٢٠] ، وقد أبدى فيها الخدمات العظيمة، والبطولات والتضحيات، التي قام بها الشعب التركي الأبي، الذي سبق أن تشرّف بتولي الخلافة الإسلامية لعدة قرون[٢٢١] .

وحين وصل وفد زائر من تركستان إلى دار العلوم وندوة العلماء بلكهنؤ، ألقى فيهم عدة كلمات منها الكلمة الترحيبية بهم في المسجد بالعربية، أبدى فيها سروره بتحرير تلك المناطق من مخالب الشيوعية، وعودتها إلى حظيرة الإسلام من جديد، وفي اليوم التالي، ألقى كلمته في حفل التكريم لهؤلاء الضيوف تحدّث فيها بإسهاب عن أهمية هذا الانقلاب وخلفياته[٢٢٢] .

وعلى هامش مؤتمر السيرة في الجامعة السلفية ببنارس في أكتوبر ١٩٩١م انتهز هذه الفرصة ليتحدث في اجتماع حضره عدد كبير من المسلمين والهندوس من بنارس وضواحيها، حول رسالة الإنسانية، التي يراها الشيخ – رحمه الله – مسألة ذات أهمية وقيمة كبيرة في الظروف السائدة في الهند[٢٢٣] .

وفي الجلسات التي تعقدها دار المبلغين بمدينة لكهنؤ باسم شهداء الإسلام، دعا الشيخ في الجلسة الأخيرة دعوة خاصة، تقوم على أساس المطالعة غير المتحيّزة للتاريخ الإسلامي، وبيّن أن الترتيب الذي تولى به الخلفاء الراشدون إمارة المؤمنين لم يكن صدفة، أو بناءً على رغبات شخصية، أو أحداث مفاجئة، وإنما كان مصداقاً لقوله تعالى : ﴿ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾[٢٢٤] ، ثم تناول عهد الحسنين – رضي الله عنهما – وقال بأن كلاً منهما مثّل الدور المطلوب لمصلحة الملّة الإسلامية[٢٢٥] .

وفي رحلاته المتعددة إلى مدينة (بهتكل)[٢٢٦] كان يتحدث فيها إلى أهلها[٢٢٧]، وسافر إليها أيضاً مرّة أخرى في نوفمبر ١٩٩١م، وعقد فيها جلسة لرسالة الإنسانية في ٢٩ نوفمبر ١٩٩١م، كما عقدت جلسة ثانية في منجلو في أول ديسمبر ١٩٩١م، وتحدث فيها الشيخ ولاقت الجلسات نجاحاً كبيراً، وقد ألقيت الكلمات باللغة الأردية، وتم نقلها إلى اللغة المحلية مما زاد تأثر المستمعين بها[٢٢٨] ..

وتجاه ما لقيته الهند في مجتمعها من طوفان الحقد والعنصرية، وما يفرزه ذلك من حوادث عنف وانفجارات، كانت تدمي قلب أبي الحسن وتهزّ مشاعره، تجاه ذلك كان لا يترك مناسبة أو تجمعاً حاشداً أو فرصة، إلا ويستغلها لتوجيه انتباه القادة المعتدلين، ويبعث بكل نداءات قلبه، في جرأة وصراحة ووضوح، وكان بيانه، وخطاباته سلاحه المتاح؛ ففي ١٩٩٣/١/١٦م، ألقى كلمة في قاعة باره دربي (القصر الأميري السابق) أمام حشد عظيم من الناس[٢٢٩]، كما ألقى كلمة أخرى في ١٩٩٣/٧/٨م في مديرية رائي بريلي، في الساحة الفسيحة للكلية الرسمية، وحضر تلك الكلمة أكثر من ٥١ ألف نسمة من مختلف الجاليات وأتباع الأديان المختلفة[٢٣٠] ، بعنوان «الاستقلال الحقيقي للبلاد وجدواه» وحين حدثت في بومباي في ١٢ مارس ١٩٩٣م، خلال صلاة الجمعة ١٧ رمضان ١٤١٣هـ ثلاثة انفجارات عنيفة في أماكن مختلفة، ألقى بتلك المناسبة المؤسفة بعض الخطب والكلمات التوجيهية، منها خطابه الذي ألقاه في قاعة اتحاد الطلبة في ندوة العلماء في ١٤ مايو ١٩٩٣م في موضوع «الوضع الجديد ومواجهته» وخطاباً آخر في موضوع «الاحتفاظ بالشخصية الملّية»[٢٣١] .

د – حوار ومحادثات :

من صور خطاباته وأحاديثه الدعوية المتنوعة منهجه في الحوار البليغ مع الآخر سواءً كان هذا الآخر مسلماً أو غير مسلم؛ كما يفعل في حواراته مع غير المسلمين في حركة رسالة الإنسانية التي أنشأها سماحته، مؤمناً بأن الحوار البليغ له أثره البالغ في النفوس، وأن الاتصال بالمعارضين بالمحاورة الحكيمة تحقق نتائج مفيدة، وأن اللين في معالجة الأمور، إنما هو اتباع لقول الله تعالى : ﴿فَقُولا لَهُ قَوْلاً لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ﴾[٢٣٢] وقوله جلّ وعلا للرسول ﷺ : ﴿وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾ [٢٣٣]، والشيخ أبو الحسن، يجد في طريقة المحبة والحوار الحكيم، والعبارة المؤثرة، واللين في القول، مع عدم الإخلال بالقيم والعقائد، وقد نجح في هذا السبيل إلى حد كبير[٢٣٤].

وطريق الحوار والنقاش سبيل من سبل التعارف والتعرّف حتى بين أصحاب الملة الواحدة، وسبيل من سبل التواصل، وإيجاد الصلات والعلائق الشخصية، ويذكر لنا الشيخ طرفاً من ذلك في بداية زياراته للحجاز، وكيف نشأت صلته بطبقة الخواص والمثقفين والأدباء وأصحاب الأقلام؛ وأنها إنما تحققت، عن هذا السبيل، حين تعرّف الشيخ بأحمد عبد الغفور عطار عن طريق محمود حافظ؛ وتولّى عطار تنظيم دعوة لجمع من أصدقائه الأدباء على الغداء، ودعا الشيخ وأصحابه.

وكان من بين المدعوين : سعيد العامودي، وعبد القدوس الأنصاري، وعلي حسن فدعق، ومحسن أحمد باروم، وحسين عرب[١٣٥] .

ويقول الشيخ عن تلك الجلسة: «وبدأت الجلسة كأنها جلسة نقاش لأحد الطلاب، فقد أراد الضيوف الكرام أن يقدروا مدى معرفة هذا الضيف الغريب باللغة العربية ويسبروا غوره في دراسته ومعلوماته العامة، فكانوا يسألونه تارة عن طه حسين، وعباس محمود العقاد، وأدباء مصر المعروفين، ويقدّرون من إجابته هل قرأ كتبهم أو لا ؟، وتارة أخرى يسألونه عن رأيه في الاشتراكية، وحيناً عن الحضارة الغربية، وآخر يقيسون اطلاعه على اللغة الإنجليزية، وقد شعرت في ذلك بقيمة تلك الدراسة ، وذلك المنهج للتعليم والمطالعة الذي هيأ الله – تعالى – أسبابه في الهند، ولم أكن أقدرها حق قدرها في ذلك الحين»[٢٣٦].

وحين زيارته لمصر عام ١٩٥١م، كانت للشيخ أحاديث حوارية، تبادل فيها الأفكار والآراء مع كل من الحاج أمين الحسيني «مفتي فلسطين»، رحمه الله، ومع سيد قطب، رحمه الله، ومع الشيخ الأكبر محمود شلتوت رحمه الله[٢٣٧].

وفي لندن التي زارها لأول مرّة عام ١٩٦٣م، كان له حوار في إذاعة (B.B.C) حول موضوع الإمكانيات لرقي اللغة العربية وتقدّمها، وصلات البلدان الإسلامية بها[٢٣٨] .

وحين كان في الأردن، عقد كامل الشريف مجلساً خاصاً في بيته، ضم فيمن ضمّ إسحاق الفرحان، وعمر بهاء الدين الأميري، وإبراهيم شقرة، وكمال أبو المجد، وسواهم، وكان موضوع الحديث في هذا اللقاء حواراً تمّ فيه استعراض تجارب الحركات الإسلامية ومواقفها[٢٣٩]، كما كانت للشيخ لقاءات وحوارات ومجالس خاصة في تلك الزيارة مع كل من مهدي بن عبود ، وأحمد بن عبد العزيز المبارك، وعمر بهاء الدين الأميري ، ويوسف القرضاوي، ومحمد الغزالي[٢٤٠] .

هـ – أحاديث إذاعية :

وفي زيارته للحجاز عام ١٩٥٠م وبعد أن تعرّف على الأوساط الأدبية هناك، أتيحت له الفرصة أن يقدم أحاديث في الإذاعة السعودية[٢٤١]، بناءً على طلب الإذاعة، فألقى سلسلة من الأحاديث، اختار لها بعد رويّة وتفكير – على حد تعبيره – عنوان : «بين العالم وجزيرة العرب» ويقول عن ذلك : «كنت أتوقع أنني سوف أبدي فيه آرائي وانطباعاتي بأسلوب مناسب، وأُعبر عن قلبي وضميري على لسان

العالم، ثم أرد عليه بلسان جزيرة العرب، فكان عنوان حديثي الأول "من العالم إلى جزيرة العرب» .. ونحمد الله تعالى – على أن هذه الخطب تُلقيت باستحسان وقبول، واستمع إليها في رغبة وشوق، وشاع ذكرها في الشباب والأدباء .

وفي زيارته الأخرى عام ١٩٥١م كان له حديثان في الإذاعة السعودية؛ أحدهما بعنوان «من غار حراء» ألقى فيه الضوء على استنارة الدنيا بطلوع شمس الإسلام وكيفية ذلك، وكان الحديث الآخر بعنوان «محمد إقبال حياته ورسالته» وقد استهدف الشيخ – رحمه الله – من ذلك، توجيه شباب العرب إلى دراسة الإسلام، وقراءته من جديد، لتجديد الصلة به، والاعتزاز بهذه الصلة[٢٤٢].

وفي زيارته لدمشق عام ١٩٥٦م طلب منه المسؤولون في الإذاعة السورية عدداً من الأحاديث؛ فقدّم حديثين؛ الأول بعنوان «اسمعي يا سوريا»، والثاني بعنوان «محمد إقبال في مدينة الرسول ﷺ التي طار فيها على جناح الشوق واللهفة والحب في عالم الخيال»[٢٤٣].

ولما زار لندن عام ١٩٦٣م قدّم خطابين في إذاعة (B.B.C) أحدهما بعنوان «انطباعات لأحد زوّار لندن" والثاني كان حواراً عن إمكانات اللغة العربية وتقدمها، وصلات البلدان الإسلامية بها[٢٤٤] .

وحين تلقى الشيخ نبأ وفاة المفتي عتيق الرحمن بجدة عام ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م قدّم عنه – رحمهم الله جميعاً – حديثاً من إذاعة جدة، تحدث فيه عن جلائل أعماله، وما قدمه من خدمات جليلة للإسلام والمسلمين، وذكر خصائصه ومزاياه، والفراغ الكبير الذي خلفه في حياة المسلمين في الهند[٢٤٥] .

كما قدّم أثناء زيارته لليمن عام ١٩٨٤م حديثاً في التلفزيون والإذاعة في اليمن أشار فيه إلى علاقته القديمة باليمن، ونوّه بعلاقته العلمية بالشيخ خليل بن محمد اليماني؛ ونظراً لقرب حلول شهر رمضان آنذاك، فقد نبّه في حديثه إلى أهمية استقبال ذلك الشهر المبارك الاستقبال اللائق به وأداء حقه[٢٤٦] .

و – محاضرات تعليمية :

كان الشيخ رحمه الله منذ بداية حياته التعليمية، وللبيئة التي نشأ فيها، داعية معلماً، ومعلماً داعية، وقد تلازم هذان الخطان في حياته، بصورة موضوعية متوازنة، وقد منحته فرصة التعليم النظامي الدقة والمنهجية، وتصوّر المسائل والقضايا تصوّراً علمياً دقيقاً محكماً.

وكان الشيخ رحمه الله قد بدأ حياته التدريسية النظامية؛ بإعطاء دروس في القرآن الكريم، فقد أسند إليه بعد العام ١٩٣٤م دروس القرآن الكريم في دار العلوم، وقد أحس في المدة من ١٩٣٩–١٩٤٠م أن الطلاب يجهلون كثيراً من الأصول والأسس اللازمة لدراسة القرآن الكريم، بحيث تظل دراستهم له دراسة سطحية غير متعمقة، وحين بدأ يدرّس للسنوات العليا في التفسير، أعد مقالات خاصة تساعد الطلاب على تدبر القرآن الكريم وإدراك إعجازه وبدأ يملي عليهم تلك المحاضرات في العام الدراسي (٣٨–١٩٣٩م)، وكانت عناوينها على النحو الآتي[٢٤٧] :

١ – القرآن يتحدث عن نفسه (أو تعريف القرآن بالقرآن) .
٢ – شروط الاستفادة وموانعها من القرآن الكريم .
٣ – إعجاز القرآن الكريم .
٤ – الموضوع الأساسي في القرآن الكريم .
٥ – نبوءات القرآن الكريم، ونبوءة غلبة الروم بصفة خاصّة.

ويذكر الشيخ أيضاً أنه بدأ يملي عليهم أيضاً محاضرات حول العقائد الأساسية : التوحيد والرسالة والمعاد، والأركان الأربعة إلا أنها لم تتم في ذلك الوقت[٢٤٨] .

ومن أمثلة خطاباته الدينية التعليمية، خطابه أمام مدرّسي مادة الدين في الجامعة السورية التي ألقاها أثناء زيارته للشام عام ١٩٥٦م[٢٤٩] . كما ألقى في زيارته لأمريكا عام ١٩٧٧م درساً في القرآن الكريم[٢٥٠] .

ونجد صورة ناضجة، ونموذجاً لدروسه التعليمية الدعوية، المستقاة من نصوص القرآن الكريم، والتي كشفت مهارة الشيخ في العرض وبلاغته في القول، فيما قدّمه من دراسات علمية وأدبية لخدمة القرآن الكريم، والواردين لمنهله العذب، تكشف لهم من جوانب البلاغة والحكمة[٢٥١] .

ونجد مثالاً حياً لتلك الدروس والمحاضرات في كتابه القيّم «روائع من أدب الدعوة في القرآن والسيرة» جمع محاضراته أمام طلبة «المعهد العالي للدعوة والفكر الإسلامي» في مادة «أسلوب الدعوة في القرآن الكريم»[٢٥٢] . واشتمل على المحاضرات الثمان الآتية[٢٥٣] :

١ – حكمة الدعوة ومرونتها ومجاراتها لكل بيئة وعصر[٢٥٤].

٢ – نموذجان من دعوة سيدنا إبراهيم عليه الصلاة والسلام[٢٥٥].

٣ – نموذج من دعوة سيدنا يوسف عليه السلام[٢٥٦] .

٤ – نموذج من دعوة سيدنا موسى عليه السلام وحكمته النبوية[٢٥٧] .

٥ – موسى عليه السلام مع قومه بني إسرائيل[٢٥٨] .

٦ – دعوة مؤمن يكتم إيمانه، نموذج لدعوة غير نبي[٢٥٩] .

٧ – نموذجان من دعوة خاتم الرسل وحكمته[٢٦٠] .

– النموذج الأول من دعوته ﷺ على جبل الصفا[٢٦١].

– مثال بليغ للحكمة النبوية والبلاغة العقلية[٢٦٢] .

٨ – تمثيل جعفر بن أبي طالب للإسلام والمسلمين في مجلس النجاشي ملك الحبشة[٢٦٣] .

٢ – المقالة الكتابيّة :

منذ المراحل الأولى لظهور بواكير نشاط أبي الحسن الدعوي في بداية حياته العلمية التعليمية، من حيث انطلاقة لسانه، وطلاقة بيانه في الوعظ والمحاضرة والتوجيه الخطابي المباشر إلى الناس، ظهرت أيضاً بواكير قوية الملامح لبروز كاتب أديب، يحمل موهبة أدبية عالية في الكتابة النثرية .

فقد أبدعت هذه الموهبة تراثاً أدبياً ضخماً يتمتع بروح الأدب القوي المعبر عن روح حيّة، تنبض بالعاطفة والإخلاص. والواقع أن إنتاج أبي الحسن الأدبي جاء صورة صادقة عن حياته الشخصية، الحافلة بالعاطفة والإخلاص.

ولا شك في أن مهمة الإبداع الكتابي ليست مهمة سهلة؛ ولكنها تتطلب مع الموهبة قدراً كافياً من التأهيل، والدقة، وروح المسؤولية من جهة، وقدراً من الصبر وتحمل تبعات الكتابة ومعاناتها.

ولا بد أن نشير إلى أن النضج المبكر لتجربة أبي الحسن الندوي الأدبية، الذي ظهر في كتاباته الأولى كان مردّه إلى البيئة الأدبية العلمية التي نشأ فيها، وإلى ما أتيح له من برنامج لغوي أدبي مركّز، تلقاه على أيدي معلمين أكفاء، سواءً في الأردية أو العربية، ابتداءً من البيت والأسرة، ومروراً بأستاذيه في العربية خاصّة؛ تقي الدين الهلالي ، وخليل محمد اليماني، ووصولاً إلى ندوة العلماء بما فيها من برامج وأساتذة وطلاب، وجوّ علمي أدبي يفيض بالحركة الحيويّة[٢٦٤] .

والشيخ يعترف صراحة بأثر ذلك التعليم المبكر إيجاباً على موهبته الأدبية، في قوله : «لقد كان من حسن حظي أنني قرأت في سنيّ المبكرة وأيام دراسة اللغة العربية الأولى كتباً تعتبر في القمة في اللغة الأردية وآدابها، ومعلوم أنّ الدعاة والعلماء الذين لا تسع لهم الفرصة في سنيّهم المبكرة لدراسة لغة البلاد وآدابها والتذوّق لها، أو يطالعون كتبها في الكبر، يواجهون صعوبة كبيرة في القيام بدعوة مؤثرة، وتفسير المفاهيم الدينية وتعليمها، وشرح الفكرة الإسلامية وغرس المقاصد والأهداف الدينية في نفوس الطبقة المثقفة بالثقافة العصرية، وتخلو كتاباتهم وإنشاؤهم من القوّة والتأثير والروعة والجمال الذي لا بد منه في هذا العصر»[٢٦٥] .

ويذكر فضل ابن خاله السيد / حبيب الرحمن

المدرس في الجامعة، والمهتم بالشعر، في مساعدته له في فهم الأردية وتذوقها بما كان يعقده للصغار من مسابقات كتابية وخطابية في الأردية، كذلك فضل ابن خاله الآخر السيد أبي الخير في هذا الشأن، وقد كان شغوفاً بمناهج اللغة، وحجة في التعبيرات اللغوية[٢٦٦] .

وينوّه بتأثره في الكتابة الأردية " أولاً بأسلوب الوالد رحمه الله التاريخي الأدبي، الذي هو نموذج جميل لكتابة متينة رصينة، يحمل مع جدّيه التاريخ ودقته رونق اللغة ورواءها، وقد تجلّى أثر تقليد هذا الأسلوب في مقالي الأول في أردو،كان عنوانه «الأندلس»[٢٦٧] .

وإذا كانت (الأندلس) بذرة (الأديب المتطلع إلى السبق)[٢٦٨]، فقد «دفعته همته الذاتية إلى كتابة مقال تاريخي .. يتحدث عن المجاهد أحمد بن عرفان؛ شهيد الإسلام وإمام أهل التوحيد»[٢٦٩] وبعثه فيما بعد إلى الشيخ محمد رشيد رضا الذي أعجب به، ورآه جديراً بالنشر في «المنار»[٢٧٠]، وظهرت نشرة مستقلة له عام ١٣٥٠هـ «فأحدثت صدىً قوياً بين العلماء والباحثين وكانت بمثابة فجر صادق يبشر ضوؤه المشع بقدوم صبح مبين»[٢٧١]، وقد كتب أبو الحسن مقالته تلك وهو في سن ما بين الثالثة عشرة والرابعة عشرة.

وقد جاءته تلك الرسالة منشورة في مصر بعنوان «ترجمة السيد الإمام أحمد بن عرفان الشهيد» وقد نيّف على السادسة عشرة من العمر ، وفرح بها فرحاً عظيماً[٢٧٢] .

وكانت هذه الرسالة وعلاقتها بالإمام الشهيد منعطفاً مهماً في حياته الفكرية، وتوجيه ذوقه المعرفي، واهتماماته الدعوية؛ فقد كانت منطلقاً لسلسلة من المطالعات لحياة الشهيد، التي زادته به إعجاباً، وشعوره بضرورة القيام بعمل علمي حول سيرته وجهاده وإصلاحه بأسلوب عصري، وقد ذاكر في ذلك مسعود الندوي، الذي كان يشاركه الإعجاب بالإمام وجماعته، ومن هنا اتفقا على أن يتولى أبو الحسن الكتابة عن سيرة الإمام وحياته، ويتولى مسعود الكتابة عن الجماعة والحركة[٢٧٣] .

وسافر إلى «طونك» وكان بها فرع من أسرة الشيخ من أعقاب الإمام الشهيد، ظفر فيها بكتاب «وقائع أحمدي» وهو أوثق مصدر وأكبره عن حياة الإمام، وفي هذه المرحلة، وعلى شاطئ نهر «بناس» كتب مقدمة «سيرة أحمد الشهيد« ويحسن أن نترك أبا الحسن يصف تلك اللحظات ، ويقدم لنا نموذجاً من كتابته في تلك المقدمة، وتأثر حياته بذلك العمل: «في هذه المرحلة عندما كنت مقيماً مع شيخنا [حيدر حسن خان الطونكي] على شاطئ نهر «بناس» الذي لعل الإمام الشهيد وجماعته المجاهدين الأبرار توضؤوا منه مرات وكرات، جلست في وقت الصباح الصافي قبل طلوع الشمس على صخرة ورجلاي في النهر، وكتبت مقدمة «سيرة أحمد الشهيد» وعليها تاريخ مايو عام ١٩٣٦م، والتي أدرجت في الكتاب بعنوان «نظرة إجمالية على سيرة الإمام الشهيد» ولا أحب هنا أن أتقدم قبل أن أنقل مقتطفاً من هذه المقدمة ، فإنها تلقي بعض الضوء على مؤلف ناهض ومنهج تفكيره وأسلوب كتابته .

لقد هبت رياح الإيمان واليقين المباركة الطيبة مراراً وتكراراً في تاريخ الإسلام، ولكن هذه الريح الطيبة الرخية السعيدة للإيمان واليقين والإخلاص والربانية التي هبت على يد الإمام الشهيد، لم نرَ لها مثيلاً – في حدود علمنا – قبلها في هذه البلاد، ولا شاهدنا قبل ذلك مثل هذه النماذج الرائعة وعلى هذا النطاق الواسع، للتوكل والعزيمة، والإيمان والاحتساب ، والحنين إلى الجهاد والشهادة، والإيمان بالآخرة، وإن لم تكن مثل هذه الحوادث المدهشة المميزة للعقول لصناعة الرجال، وتربية الأجيال، والإصلاح وانقلاب الأحوال، فإنها نادرة قليلة الوجود في تاريخ الإصلاح والتربية[٢٧٤] .

لقد كانت هذه بداية مباركة سعيدة، يبدأ بها في حياتي عهد جديد، وما كنت أتوقع نفسي أيضاً أن هذا العمل سوف يحدث في حياتي تغييراً، ويفتّح عهداً جديداً، وأن هذا الكتاب سوف ينال من القبول والحظوة في الناس ما ناله، ويكون سبباً للتعريف بي في الأوساط الدينية والتقرب لدى عباد الله الصالحين.

عدت من طونك عند نهاية الإجازة الصيفية، ورجعت إلى لكهنؤ وقد صحّت عزيمتي على إكمال هذا الكتاب الذي كان حجة الوقت، ونداء الضمير»[٢٧٥].

ومن بواكير إنتاجه أيضاً، مقالته عن «القيمة الأدبية في الحديث النبوي» وكانت أول مقال كتبه لأول عدد من مجلة الضياء، ونشر عام ١٩٣٢م[٢٧٦] .

وفي عام ١٩٣٤م نشر رسالته عن شاعر الهند أكبر الإله أبادي[٢٧٧] ، وبدأ سلسلة تأليف الكتب المدرسية بالعربية، وظهر أول كتاب فيها بعنوان «مختارات من أدب العرب» عام ١٩٤٠م وقصص البنين للأطفال «والقراءة الراشدة عام ١٩٤٤م»[٢٧٨] .

وقد كان من أول مقالاته التي كتبها مخترقاً حدود الدائرة الأدبية – على حد تعبيره – إلى الأوضاع والظروف الحاضرة وحال المسلمين، مقالة بعنوان «دعوتان متنافستان» شرح فيه الفرق بين الإسلام والجاهلية، وتجلّت فيه لأول مرّة الروح الدعوية للفكر الإسلامي[٢٧٩] .

ويذكر الشيخ أنه بعد كتابته مقال «دعوتان متنافستان» انعطف عنان قلمه إلى كتابة المقالات والرسائل بالعربية ومخاطبة العرب[٢٨٠] .

ويذكر مقالاً دعوياً آخر نشر بمصر وكان في الأصل محاضرة بعنوان «المد والجزر في تاريخ الإسلام» ثم نشر بعد ذلك في دمشق[٢٨١]، استعرض فيه أحوال العرب قبل الإسلام والتغيير الهائل الذي أحدثه الإسلام فيهم[٢٨٢].

ومن أهم إنجازاته الأدبية الدعوية في نطاق التأليف والكتابة كتابه الشهير العظيم «ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين» فقد شعر أبو الحسن نفسه برغبة ملحة، لم يستطع مغالبتها بأن يؤلف كتاباً يتحدث عن ماذا خسر النوع البشري بانحطاط المسلمين، وماذا ربح العالم والمدنية والشعوب برقيهم، وقرر أن يكتب ذلك بالعربية، ويذكر أنه ظلّ مستمراً في إعداده وتكميله من عام ١٩٤٣ إلى ١٩٤٧م[٢٨٣] .

ونشر كتابه في مصر[٢٨٤] فتلقاه العلماء والأدباء والناس بقبول وحسن وتأثّر وإيجاب لا نظير له، ولنقرأ هذه الشهادة من أحد الأدباء الكبار التي يقول فيها: «.. ولكن أبا الحسن أصدر كتابه باللغة العربية «ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين» في مطلع حياته الفكرية، فكان حدثاً هائلاً في دنيا الفكر؛ لأنه رجّ القرّاء رجّاً، وكأنه نفخ في الصور فأحيى نفوساً، وأشعل أرواحاً وأخذ الناس يقرأون مبهورين، يخافون أن تنفد صفحات الكتاب، فلا يستشعرون هذه اللذة الروحية، بعد انقضاء الصفحات، وفيهم من كان يقرأ الصفحة والصفحتين ثم يطوي الكتاب دقائق معدودة، ليُصَعِّد زفرة مكتومة، أو يعلن آهة موجعة، وأشهد أمام الله أن بعض الصفحات التي كانت تصوِّر فجائع المسلمين على أيدي أعدائهم، وطغيان العتاة على بلادهم، كانت تضع فوق كاهلي وأنا أقرأ أطناناً من الحديد الصلب، فلا أستطيع أن أتحرك إلا بعد أمد يقصر أو يطول. هذا الكتاب الخالد قد رجّ القرّاء... «لم يُتح لأبي الحسن أن يكتب هذا السفر الرائع في مطلع شبابه دون أن يعتمد على موهبة رائعة ممتازة، جرت من عقله مجرى الماء في فروع السَّرْحة الفينانة ذات الظل الوارف، دون أن يعتمد على نشأة علمية باهرة في أعرق منازل الفضل بالهند، وأخصب منابت العزة والكرامة والشموخ، ودون أن يعتمد على اطلاع شامل محيط في كتب متعددة، ولغات متنوعة، اطلاع نافذ يعرف سطور الحق فيجتبيها، ويطرد سطور الباطل إذ يحتويها، ومن رواء ذلك كله روح إسلامية

عالية هي قبسة من قبسات رجال الصدر الأول من تاريخ الإسلام، فقد عايش أبو الحسن هؤلاء الرجال معايشة العاشق المولع بكل ما يقرأ من أمثلة لتضحية وفداء، ونماذج الإيمان والإيثار، فكانت سير هؤلاء ومن تبعهم بإحسان ضياءً لروحه قبل أن تكون غذاءً لفكره، وقل ما شئت في تلميذ نابغة، أساتذته الأكرمون رسول الله وصحابته المختارون.. مع من وليهم أئمة السلف الصالح، خلفاً عن سلف، حتى انتهت السلسلة الرائعة إلى والده الكريم، وكلهم خيارٌ من خيار ..»[٢٨٥] .

وانطلق قلم أبي الحسن سيّالاً في سبيل توعية المسلمين بدينهم وتربية شعورهم الديني، ولم يقتصر في ذلك على الكتب والرسائل وإنما اتجه إلى إصدار جريدة باسم «تعمير»[٢٨٦] ونشر في هذه الجريدة مقالات قوية مثيرة، تبعث روح الإيمان، وتنير الفكر والوجدان، ومن مقالاته التي نشرها فيها «العالم في حاجة إلينا»، وصدر له أيضاً مقال بعنوان «مواضع ضعف في سيرتنا وشخصيتا القومية» انتقد فيه مواضع الضعف العامة، بصراحة وشدة، ونبّه إلى نتائج ذلك[٢٨٧] .

وكتب مقالات صريحة وقوية في الرد على تلك الاعتراضات التي تغمز المسلمين في الهند باعتزازهم بالشخصية الإسلامية والارتباط برموزها الدينية عربية وغيرها، وعدم انجرافهم في التيار القومي الهندي، ونشرت في جريدة «تعمير» ومجلة «الفرقان» فكانت مؤثرة نافعة[٢٨٨] . وفي إطار انغماسه في معايشة قضايا المسلمين وأوضاعهم المؤلمة، كتب مقالاً[٢٨٩] ، وهو في حالة خاصة من التألم والتوجع، نشر بعنوان «نشان راه» (معالم في الطريق)، استعرض فيه ماضي المسلمين وحاضر أوضاعهم، وقدّم فيه الحلول الناجعة[٢٩٠] .

ومن مقالاته الجريئة، التي تعكس معايشته لهموم الأمة في كل أقطارها وليس فقط في بلده الذي يعيش فيه في الهند، مقالة بعنوان «اسمعي يا مصر»، فقد شعر بعد وصوله إلى مصر، أن يذكرها برسالتها ودورها ومكانتها، وأن يشعرها بأنها تستطيع أن تقوم بالدور القيادي والتوجيهي ليس للعالم العربي فحسب بل للعالم الإسلامي، وماذا تأخذ من الغرب، وماذا تعطيه، وأن على مصر أن تقدم أنفس أشيائها وهو رسالة الإسلام إلى الغرب، وتأخذ منه ما تفوّق فيه وهو التكنولوجيا الحديثة وعلومها، وقد انثالت عليه المعاني في هذا المقال الذي أشاد فيه أولاً بدور مصر الديني والعلمي والقيادي، ومآثرها العظيمة في النشر والعلم والأدب، وتاريخ أزهرها ومآثره في خدمة الدين والعلم[٢٩١]، ومما قال :

«يا مصر إن لك يدين، فخذي بإحداهما الأشياء النافعة المفيدة وأعطي بالأخرى الروح والحياة، وقدّمي إلى الغرب تحائف الإيمان والإسلام، ولا تنسي هذه الحكمة النبوية : «إن اليد العليا خير من اليد السفلى»[٢٩٢].

وبعد جولته في مصر والسودان والشام عاد إلى الحجاز في أغسطس عام ١٩٥١م ونشر مقالاً مهماً في صحيفة «الحجاز» الصحيفة الدينية الوحيدة، بعنوان «كيف توجّه المعارف» ولقد لقي اهتماماً من كبار العلماء وأصحاب الفكر وحظي بتعليقاتهم[٢٩٣] .

من الأمور التي كانت تؤلم أبا الحسن ما شعر به من أن كثيراً من الشباب المثقف المتحمس للإسلام، يعتقدون أن جهود الإصلاح والتجديد ليست متصلة متسلسلة في تاريخ الإسلام، وأن هناك فجوات عميقة لم تظهر فيها شخصيات إصلاحية قوية، وأنه ليس هناك إلا العلماء والمشايخ والمؤلفون السائرون مع التيار في سبيل السلطة وميول العصر، ولخطورة مثل هذا التصور، الذي قد ينتهي ببعض الشباب المسلمين إلى سوء الظن بالإسلام، وضعف إنتاجه وصلاحيته الداخلية، مع أن الأمر بالعكس من ذلك تماماً، ولكن المشكلة تكمن في منهج

التأليف والتدوين[٢٩٤]. ويروي لنا الشيخ قصة الكلمة التي أثارت في ذهنه هذا الخاطر في قوله : «وقد أثار في ذهني هذا الخاطر كلمة (بسيطة) قالها المربّي الكبير مولانا عبد القادر الرائي يوري لرجل هندوكي كان يزوره ويجله : (إن من الأدلة الواضحة على صدق الإسلام، أنه كلما احتاج هذا الدين في أي عصر أو مصر إلى أي نوع من رجال الفكر والدعوة، أوجدهم الله تعالى وقيضهم لحراسة هذا الدين وتقويته. وكلما ظهرت الفتنة خلق الله لها رجالاً يدحضونها ويقضون عليها). وقد حشرت هذه الكلمة الصغيرة من الشيخ جنداً من الأدلة والبراهين على ذلك أمامي، وَوَجَدْتُ فيّ اندفاعاً إلى الكتابة في هذا الموضوع»[٢٩٥] . فانصرف الشيخ بعقله وقلبه إلى تأليف سلسلة كتب «رجال الفكر والدعوة في تاريخ الإسلام»[٢٩٦].

وفي سياق اهتمامه بمشكلات الأقطار الإسلامية، كتب مؤلفه «الصراع بين الفكرة الإسلامية والفكرة الغربية»[٢٩٧]، استعرض فيه قصّة الصراع بين الفكرة الإسلامية، والفكرة الإسلامية في البلدان الإسلامية، ونتائج هذا الصراع، وموقف البلاد الإسلامية، وقد كتب في تصديره لذلك الكتاب «إنني أعتقد أن ذلك أضخم مشكلة للأقطار الإسلامية، وأن الجواب على هذا السؤال؛ وهو أنه أي موقف تتخذه هذه البلاد من هذه الحضارة، وأي منهج تسير عليه لتوفيق مجتمعها بالحياة العصرية، وتحقيق مطالب العصر الحديث، وإلى أي مدى تثبت ذكاءها وشجاعتها الخلقية لمواجهة هذه المعضلة ؟ إن الجواب على هذه الأسئلة هو الذي يحدّد مكانة هذه الشعوب في خريطة العالم، ويعرف به مستقبل الإسلام في هذه البلاد ومدى وفائها لرسالة الإسلام الخالدة العامة»[٢٩٨] . ويرى المؤلف، وهو محق، أن كتابه هذا من أهم مؤلفاته؛ لأنه يدعو الطبقة المثقفة الذكية في العالم الإسلامي للتأمل والتفكير، وأنه جدير بالاهتمام والدراسة[٢٩٩] .

ومن الموضوعات الإسلامية المهمة التي شغلت باله أيضاً وكانت موضوعاً حيويّاً في كتاباته، موضوع التربية الإسلامية، والآثار الضارة للأنظمة التعليمية الغربية ومناهجها التي تستورد من الخارج، التي تؤدي إلى اقتلاع عقائد الأمة والقضاء على عواطفها الدينية، فتصبح البلاد الإسلامية، مثل المركب الذي يسوقه فرسان من جهتين متقابلتين، ومن أجل ذلك صدر كتابه «نحو التربية الإسلامية الحرّة في الحكومات والبلاد الإسلامية»[٣٠٠] .

وهجس في خاطره، أنه ربما تسلل إلى نفوس القرّاء المسلمين إحساس اليأس من المستقبل الزاهر، فرأى أن يكتب مقالاً يبعث في النفوس الأمل والطموح، وأن الأعداء عامة، واليهود خاصة مهما انتصروا في بعض المواقع والفترات فإن البقاء للأنفع كما قال تعالى : ﴿فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الأَرْضِ﴾[٣٠١] . فكتب مقالاً بعنوان «الفتح للعرب المسلمين» .

وكان كذلك مهموماً بقضايا بلده الهند، ومنخرطاً في حلها بجهوده الميدانية، والكتابية أيضاً؛ فقد نشر مقالات شديدة الانتقاد على وجهة بلاده الجديدة في جريدة «ندائي ملت» أشار فيها على المسلمين بأن يعرفوا حياة العزّة والكرامة في هذه البلاد، ويحثهم بأن يتقدموا للقيادة الخلقية، وينبههم إلى الأخطار المحدقة[٣٠٢] .

وأثناء زيارته للمغرب عام ١٩٧٦م بدأ بكتابة مقال بعنوان «نحن الآن في المغرب» وبدأه بقوله : «قدّرت لي زيارة أكثر الأقطار الشرقية الإسلامية في شرخ الشباب وفي فجر الحياة وظهرها، وتأخرت زيارة المغرب الإسلامي العربي الحبيب – لحكمة يعلمها الله – إلى أن دنا الأصيل ومالت شمس الحياة إلى المغرب .

لقد تأخرت زيارة المغرب الحبيب جسدياً، وبحساب الشهور والأعوام، ولكن لم تتأخر زيارته والتعرف به في ظلال العلم والدراسة، وفي رحاب المكتبة الإسلامية العالمية

الواسعة، التي يشغل فيها المغرب الإسلامي حيزاً كبيراً، وله فيها ركن خاص هو من أغنى أركان المكتبة وأجملها، وقد عشت في أطيانه، وعشت في أعلامه ونوابغه ردحة من الزمن، وتقلبت بين مدنه وعواصمه، وجوامعه وجامعاته، وحكوماته وحضاراته، وبطولاته ومغامراته، وعثرته ونهوضه، وسايرت ركب تاريخه الطويل المليء بالألوان المختلفة، والأحداث الجسيمة، التي تمر بها جميع الشعوب الحية الكريمة القوية الراجحة في ميزان الشعوب والأمم الغيورة على رسالتها وشخصيتها المحاطة بالأعداء والمنافسين من كل جانب»[٣٠٣].

ثم تحدث عن الأمور التي تساعد على استعادة ذلك المغرب الأقصى من جديد، والحصول على فتوح وانتصارات، وبيّن في هذا المقال أهمية المدينة الإسلامية، وآثارها على الحياة الإسلامية[٣٠٤] .

وفي إطار انشغاله بقضايا المسلمين في الهند، وخاصة قوانين الأحوال الشخصية للمسلمين، واهتمامه بمسألة الحوار بشأن هذه القضية، طبع مقالاً بعنوان «حاولوا فهم قضايا المسلمين وعواطفهم»[٣٠٥] ذكر فيها خصائص المسلمين، وصلتهم برسولهم محمد ﷺ وصرّح بأهمية قوانين الأحوال الشخصية في حياتهم، وأشار إلى حكمة الزعيم غاندي وبُعد نظره، وواقعيته إذ أيّد قضية الخلافة التي كانت تخص المسلمين، وأحدث بذلك جوّاً من الوحدة العجيبة بين المسلمين والهندوس والثقة المتبادلة فيما بينهم[٣٠٦] .. وكان له مقال آخر بعنوان «إن البلاد والمجتمع على مفرق خطير ولا بد من الإسراع إلى إنقاذهما والتفكير في أمرهم»[٣٠٧] .

وحين كتب مقدمة لكتاب الشيخ محمد منظور النعماني «الثورة الإيرانية والإمام الخميني والشيعية» وهو الكتاب الذي أورد فيه المؤلف شواهد كثيرة من كتب الفرقة الاثني عشرية المشينة من الصحابة والخلفاء الراشدين خاصة، وعقائدهم المنحرفة في الإمامة والأئمة، وتحريف القرآن، وأثبت فيه من كتب الخميني أنه يعتقد بتلك الأباطيل، شعر الشيخ أبو الحسن بالحاجة إلى تأليف كتاب آخر مستقل بغير أسلوب الجدل والمناظرة، وإنما يقوم على منطق العقل السليم، والفطرة البشرية الصحيحة، الذي سيكون مرشداً ودليلاً للقرّاء ذوي الإنصاف من أصحاب الفطرة السليمة، وأهل العقل والحكمة ؛ ممن تَخْلُوا أذهانهم من الخلفيات والرواسب المذهبية، أو يتحرروا منها طلباً للحق واتباعاً للحق لدواعي البصر والبصيرة، فألّف كتابه القيم، ودرته الرائعة، في منطق واع وحكمة بالغة «صورتان متضادتان» واستخدم في عرض الحقائق التي أثارها النصوص القرآنية والشواهد التاريخية، وأقوال العلماء والمؤرخين والغربيين، ثم وجّه سؤالاً إلى القارئ[٣٠٨] (أي الصورتين أبعث على الأمل وأدعى للجرأة والشهادة بالنظر إلى رفعة مكانة النبي ﷺ ومقاصد البعثة الأساسية الجليلة، والطفرة البشرية الصالحة وتقبلها للخير والصلاح ؟ وفي ضوء شواهد التاريخ المحايد المنصف، هل تلك الصورة القاتمة المظلمة التي يقدّمها أولئك الذين يحكمون على النبي بالإخفاق في مهمته وتربيته، والانخداع بأصحابه أو الصورة الأخرى المشرقة الشفّافة التي تعرض النماذج البشرية الرفيعة والنّتاج العظيم لتربية النبي الجليلة المغيرة للنفوس ؟)[٣٠٩] وقد نجح هذا الكتاب وأقنع طبقة علمية، ممن لا يألف البحوث العلمية وأسلوب الجدل وأثّر فيها[٣١٠].

ويأتي في هذا السياق، وفي نظام اهتمامه بهذه القضية تأليفه كتاب "المرتضى" عن سيدنا علي بن أبي طالب رضي الله عنه[٣١١] .

وظلت روح الداعية الساعي إلى الإصلاح تدفع بأبي الحسن إلى الكتابة في هذا الاتجاه، فكتب مقالاً بعنوان «نحو مجتمع إسلامي معاصر»[٣١٢] ، كما كتب مقالاً بشأن أوضاع الهند تحت عنوان «درس من انتقال الحكم،

والمنهج الصالح لقيادة البلاد»[٣١٣]، وبعد أن رجع من مشاركته في مؤتمر رابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة في أعقاب الغزو العراقي للكويت ١٩٩٠م كتب رسالة بعنوان «كيف يستعيد العرب مكانتهم اللائقة ويحافظون عليها»[٣١٤] وبسبب ظروف الأوضاع المضطربة في الهند عام ١٩٩٠م كتب رسالة مستقلة، في موضوع «نصيحة إلى المسلمين في ظروف البلاد فوق العادة»[٣١٥] كما أبدى موقفه بشأن حرب الخليج ومقاومة صدام حسين عام ١٩٩٠م، في مقال نشرته صحيفة "تعمير حياة»[٣١٦].

وهناك مقالات كثيرة نشرت في صحف ومجلات مختلفة يصعب الإحاطة بها في مثل هذه العجالة، نشير إلى بعضها من مثل مجلة «المسلمون»[٣١٧] ومن ذلك مقاله فيها بعنوان «بين الصورة والحقيقة»[٣١٨] ومجلة اللغة العربية، التي يصدرها المجمع العربي بدمشق، ونشرت له «نظرة جديدة إلى التراث الأدبي العربي»[٣١٩] ، ومجلة الرائد، ومقاله فيها «أدب محمد والمناجاة»[٣٢٠] ومقالة «أدب الرسائل والخواطر»[٣٢١] . كما كان له مقالات في الأدب والدعوة والفكر في كثير من المجلات العربية في مصر ودمشق مثل الرسالة لأحمد حسن الزيات، والفتح للأستاذ محب الدين الخطيب وحضارة الإسلام لمصطفى السباعي، كما كان مشرفاً على إصدار جريدة «نداي ملّت» الأردية، ومجلة «البعث الإسلامي» العربية، ومجلة «تعمير حياة» الأردية[٣٢٢] .

والواقع أن تراث أبي الحسن الأدبي المكتوب كثير غزير لا يمكن الإحاطة به في مثل هذا المقام المحدود، وما كان ما قدمناه فيما سلف إلى إشارات وصور، وقد خُصِّصَ جناح في مكتبة ندوة العلماء العامة بمؤلفات سماحة الإمام أبي الحسن، ضم جميع تلك المؤلفات بالعربية والأردية، بطبعاتها المتكررة، وبلغ عدد العناوين التي ضمّها الجناح ما يقارب (٧٠٠) عنوان، مع ملاحظة أن ما ألف بإحدى اللغتين نقل إلى الأخرى ، أو إلى لغات أجنبية أخرى[٣٢٢] .

وقد أعد محمد طارق زبير الندوي، كتاباً عن الشيخ الندوي ومؤلفاته العربية، بعنوان : «الإمام الندوي ومؤلفاته العربية» اقتبست منها مكتبة حراء قائمة، اقتصر فيها على المؤلفات التي زادت صفحاتها على خمسين صفحة، كما لم تذكر المؤلفات التي ضمت إلى غيرها، وقد تضمنت هذه القائمة المختارة (٦٧) عنواناً[٣٢٤] .

٣ - الرسالة :

حرص أبو الحسن في حركته الدعوية التي لا تهدأ أبداً، ألا يترك وسيلة من وسائل الإبلاغ والتواصل، دون أن يستخدمها، ودون أن يسخّر إمكاناتها في تحقيق أهدافه الدعوية الإصلاحية، ومن ذلك وسيلة كتابة الرسائل، التي حاول أن يتفاعل من خلالها، في الاتجاه الصحيح مع الملوك والقادة والمفكرين العرب وغيرهم، بأسلوب لا تغيب عنه الحكمة، والحوار بالتي هي أحسن، فتبادل الرسائل مع الحكام من أمثال الملوك سعود وفيصل وخالد أبناء الملك عبد العزيز رحمهم الله جميعاً ، ثم مع الملك فهد بن عبد العزيز ، والأمير عبد الكريم الخطابي ، والأمير مساعد بن عبد الرحمن آل سعود ، والأمير الحسن ابن طلال، وحسن بن عبد الله آل الشيخ .

كما راسل المفكرين والمثقفين العرب، ومن أهم من راسلهم أبو الحسن، الشيخ عبد الله بن حميد وعبد العزيز ابن عبد الله بن باز، ومحمد بهجت البيطار، ومحمد بهجت الأثري ، وعبد الله بن علي الحمود، وأحمد عبد العزيز المبارك، وعبد الفتاح أبو غدة، ويوسف القرضاوي، والبهي الخولي، ومصطفى السباعي، وسيد قطب، ومحمد الغزالي، وعلي الطنطاوي، ومحمد أسد، ومحمود محمد شاكر، وأنور الجندي، وأبو بكر القادري وسواهم[٣٢٥] .

كما راسل رؤساء الحكومات في الهند، ولفت الأنظار

إلى مواطن الضعف والتقصير[٣٢٦].. وحثّ زعماء الحركات والمنظمات الشعبية والاجتماعية والسياسية، والمثقفين على تفهم الظروف ومواجهة العناصر المتطرفة[٣٢٧] .

وهناك الرسائل الذاتية الشخصية التي تصف أشواقه وسروره وصحبه وهم في طريقهم إلى الحج لأول مرّة عام ١٩٤٧م والتي بعث بها إلى الشيخ محمد زكريا[٣٢٨] ، والرسائل التي بعث بها إلى أقربائه وأحبائه[٣٢٩]، وحملها انطباعاته عن رحلة أوربا، فقد جاء في رسالة بعث بها إلى محمد الحسني، من باريس عن المرأة عام ١٩٦٣م «لقد تحطّم طلسم مكانة المرأة وكرامتها في أوربا وزال سحرها.. إلى قوله : نوازعهم الفطرية الميتة" وجاء في رسالة أخرى له مؤرخة في ١٥ أكتوبر ١٩٦٣م من لندن «ليس الخبر كالعيان، وقد صدق من قال : أصبحت السيئات والحسنات شهود عيان . إلى قوله : في حقيقة أسمى وأرفع»[٣٣٠].

وبعد عودته من رحلة الحج والحجاز ، تواصلت سلسلة مراسلاته مع أحبابه وأصدقائه من العلماء الذين تعرّف عليهم[٣٣١] .

وعندما رجع من الحجاز عام ١٩٤٨م ، ملكت عقله وقلبه ومشاعره، دعوة العرب إلى الإسلام من جديد، وأن يقودوا العالم كله بدورهم الدعوي والقيادة، واستعادة مكانتهم المفقودة، بحيث فكّر أن يجعل ذلك هدف حياته، ويمكن تصوّر هذه العاطفة والحماس من الرسالة التي كتبها إلى صديقه العزيز مسعود الندوي، حينما كان مقيماً في العراق[٣٣٢] ، وجاء فيها :

«لا تأل جهداً في بذر بذور الدين في تلك الأرض الطيبة، وأقم حجة الله عليهم، وصلِ الليل بالنهار، وحرّق القلب، وأذب الجسم، وأهرق دموع العين، ودماء الكبد، أهرقها سيلاً مدراراً، حتى تبكي دجلة والفرات، على قصر باعها، وقلة بضاعتها، أمسك بتلابيب كل شخص، وقل له : يا أيها الغزال الضال في صحراء العرب، ويا كرامة العالم وشرف الأمم، ويا أمل إبراهيم ومحمد، عليهما الصلوات والتسليمات ، أين أنت؟ ، أهذه هي حصيلة دعاء سيدنا عمر بن الخطاب وإنابته بالأسحار ، ودماء سيدنا مثنّى بن حارثة الغزار، ودموس أبي عبيد الثقفي، وتحطّم عظامه، ورفع سيدنا سعد بن أبي وقاص راية القتال والجهاد، وحرقة سيدنا علي بن أبي طالب وبكاؤه وتململه وخطابته المثيرة المؤثرة، وتأثيره البليغ، وعطش سيّد الشهداء، فلذة كبد الرسول ﷺ ، ورخص دماء أهل البيت ، وتفكير أبي حنيفة وفقهه وتأمله، وتعذيب أحمد بن حنبل وتضييق الخناق عليه، وحماية ابن الجوزي للسنة والدفاع عنها، وتألم الشيخ عبد القادر الجيلي ولوعته، أن تخضع لأئمة الضلال ودعاة الانحراف، وتمشي في ركابهم، وتكون ذرّة تائهة من غبار طريقهم، انفخ في الصور في مقبرة العراق، وأحدث فيهم جلبة القيامة، وزلزلتها فيا لضياع «أهل الحرم» وغفلتهم، ويقظة الأعداء وسهرهم»[٣٣٣] إنها رسالة لا تحتاج إلى تعليق، فهي قادرة على تصوير هذه اللوعة على العرب وعلى مجدهم الضائع، والشوق إلى عودة الروح فيهم من جديد ! .

وفي هذا الاتجاه كتب رسالة إلى عمر بن حسن، رحمه الله، وطلب منه أن يقرأها على الملك سعود رحمه الله، وتتعلق بالمرحلة الانتقالية التي تمرّ بها المملكة في ذلك الوقت[٣٣٤] . وكتب لأخيه رسالة تجد فيها ما يشعر به من تأثر البلدان العربية تأثراً قوياً بالحضارة الغربية[٣٣٥] .

وأثناء زيارته لمصر عام ١٩٥١م قدّم آراءه ومقترحاته مرتبة، لمكتب الإرشاد للإخوان بعنوان «أريد أن أتحدث إلى الإخوان»[٣٣٦] .

وفي نطاق اهتمامه بقضايا بلده الهند، كتب رسالة تاريخية لرئيسة الوزراء آنذاك (أنديرا غاندي) عام ١٩٧٦م بسبب الأوضاع الشاذة وحالة الخوف والإرهاب[٣٣٧] .

وفي عنفوان الجهاد الأفغاني ضد الشيوعيين والغزاة

الروس، كتب في ديسمبر ١٩٨٢م رسالة تأييد وتهنئة إلى المجاهدين في أفغانستان لما ضربوه من مثل رائع في مقاومة الحملة الشيوعية الشرسة ، والقوة العالمية الطاغية في ذلك الحين، وكان عنوانها «كلمة للمجاهدين الأفغان»[٣٣٨] .

ومن رسائله الدعوية المخلصة ما بعثه إلى الملك فهد ابن عبد العزيز، وقد رد عليها الملك بتوقيعه رداً كريماً واقعيّاً جدّد فيه – كما يقول أبو الحسن– ذكرى الملك فيصل بن عبد العزيز الشهيد، وتسلم هذا الرد من السفارة السعودية في (دلهي الجديدة) باهتمام بالغ[٣٣٩] .

٤ – القصة :

من أهم العناصر الأساسية في تراث أبي الحسن الأدبي اللافت، اهتمامه بالجانب القصصي في مسيرته الكتابية والدعوية، واعتماده على القصة وسيلة فاعلة في حمل أفكاره ومنحها قدراً من القوة والحيوية والتأثير، ولا عجب في ذلك، نظراً لما في الأسلوب القصصي من متعة وجاذبية، واستجابة لميول الإنسان المفطور على حب المعرفة والتطلع لمعرفة ماذا سيحدث في المستقبل، ثم إنه أسلوب متبع في المصادر الأساسية للأدب الإسلامي ألا وهو القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف إلى جانب إحساسه بأن الموجود من أدب الأطفال بعيد عن العاطفة الدينية[٣٤٠] .

وقد وجدنا استخدامه للعنصر القصصي في نشاطه الدعوي المتنوع، متعدّداً في مجالات كثيرة يمكن الإشارة إليها في عجالة على النحو الآتي:

أ – القصّة للأطفال :

اهتم أبو الحسن بأدب الأطفال في سياق اهتمامه بالتنشئة الصالحة للأطفال، وفي إطار اهتمامه التربوي والتعليمي الذي كان يشغل باله أساساً[٣٤١] ، ولأهمية القصة من حيث تأثيرها في جذب اهتمام الطفل، قدّم مادة تعليمية تاريخية للأطفال في إطار قصصي، وأعد سلسلة «قصص النبيين للأطفال» في خمسة أجزاء كان الخامس منها عن «سيرة خاتم النبيين للأطفال»[٣٤٢]، والتزم في كتابته تيسير القصص لتكون في متناول الطفل وعرضها بطريقة مقبولة لديه، بحيث تحبّب إليه الإيمان، وترسخ فيه العقيدة ، وتعمّق في نفسه عظمة الأنبياء عليهم السلام[٣٤٣]. وذلك في أسلوب الداعية ، المفعم بالصدق، المتدفق بالعاطفة وسمو الروح[٣٤٤] .

وإلى جانب هذه المجموعة القصصية للأطفال قدّم مجموعة مهمة أخرى بعنوان «قصص من التاريخ الإسلامي للأطفال» تعنى بقصص الصحابة رضي الله عنهم، وقد درس «سعد أبو الرضا» ملامح القصّة في هذه المجموعة، ولحظ غلبة أسلوب الخطيب الداعية، وتوجيه القصص لتحقيق غرض الكاتب الدعوية[٣٤٥] . ومن قصص المجموعة القصص التالية[٣٤٦]: (المضيف الجائع، شهامة اليتيم، من دون أحد، على الخشبة، رسالة رسول الله ﷺ ، الغرم بدل الغنم، رحلة سيدنا عمر بن الخطاب إلى بيت المقدس، قدر الشيء حق قدره والجزاء الأوفى عليه، لا حاجة إلى ذكر اسمي ، جواب كان السبب في إسلام مئات ألوف من الناس) .

وقد شهد سيد قطب – رحمه الله – لجهد أبي الحسن في هذا المجال حين قال: «ولكني أشهد في غير مجاملة أن عمل السيد أبي الحسن في هذه القصة التي هي بين يدي، جاء أكمل في هذا كله، وذلك بما احتوى من توجيهات دقيقة، وإيضاحات كاشفة لمرامي القصة، وحوادثها، ومواقفها، ومن تعليقات داخلة في ثنايا القصة، وكلها توحي بحقائق إيمانية ذات خطر حين تستقر في قلوب الصغار أو الكبار ، جزى الله السيد أبا الحسن خيراً وزاده توفيقاً»[٣٤٧].

ب – الاستشهاد بالقصص في سياق آثاره :

من الملامح الموجودة في عرضه الخطابي أو الكتابي استخدامه للقصة، واستشهاده بها في مواضع خطبه أو

كتاباته، لقصد التأثير بها على المتلقي، وجذب انتباهه ومن ذلك تركيزه المستمر في عرضه الدعوي لقصة الصحابي «ربعي بن عامر» رضي الله عنه، إنه يوظف هذه القصة القوية المؤثرة، ويكرر عرضها، بحيث يحلو لبعض الباحثين أن يطلق على ذلك أنه نموذج للدعوة ابتكر عرضه سماحة الشيخ وأبدع في تمثيله[٣٤٨] .

وأثناء حديثه عن صلة مسلمي العجم بالنبي العربي ﷺ، يذكر قصة ذلك المخمور الذي انتفض فيه الإيمان فجاءة ، غيرة على حرمة رسول الله ﷺ، ومقامه أن يذكر اسمه، أو يسأل عنه رجل مذنب مثله[٣٤٩]. ومثل استخدامه لقصص بني إسرائيل في خطبته التي ألقاها في الجامعة الإسلامية في بنغلاديش[٣٥٠] . ومثل استشهاده بقصة من قصص ألف ليلة وليلة، في حديثه مع قادة جنتا وكانت القصة تتحدث عن ذلك القاضي الذكي من علماء النفس الذي استخرج المال من الشخص الذي جحد الأمانة التي أودعت عنده[٣٥١]. أو قصة العبرة والعظة التي ذكرها من عهد سيدنا موسى عليه السلام وقصّها القرآن الكريم[٣٥٢]، أو قصة الشجرة التي تذب الحيات والحشرات السامة وتدفعها، التي يذكرها في حديثه مع المثقفين المسلمين في عموم الهند، ويشبه العلمانية في الهند بهذه الشجرة، ويحكي القصة في هذا السياق[٣٥٣] .

وأحياناً يجد من المناسب أن يقص القصة لمجرد دفع السأم، يقول : «وقصصت أخيراً على المستمعين لأرفع شيئاً من السأم والملل.. قصة خفيفة مسليّة»[٣٥٤] .

ج – التراجم والسيّر :

قدّم أبو الحسن كثيراً من التراجم وسير الشخصيات، وقد اتسمت كتاباته تلك بأسلوب قصصي، وعرض سردي مشوّق وممتع، ومن ذلك تأليفه «سيرة السيد أحمد الشهيد» ، ويقول عن عمله في تلك السيرة : «.. حياة قائد هذه الدعوة والحركة السيد الإمام أحمد عرفان الشهيد وسيرته وأصحابه، ورفاقه، وأخلاقهم، في أمانة تاريخية، وأسلوب قصصي ...» وقد شرح الله صدري في سنة ١٣٧٢هـ ، ١٩٥٣م، لأن أختار روايات هذا التاريخ العجيب، فأصوغها في العربية في أسلوب أدبي قصصي شائق، لا يشوبه شيء من المبالغة فضلاً عن الكذب..»[٣٥٥] ولأنه يختار شخصيات ذات أثر فعّال قوي، تقدم صدراً من التضحيات والفداء، فإنه بذلك يحبب تلك المواقف إلى القارئ «ويجعله يعيش متعة روحية من خلال حياة الأشخاص الذين يترجم لهم بطريقة تنفذ إلى أعماق النفس، وتؤثر في الوجدان»[٣٥٦] . وهذه بحق وظيفة الأدب الخالص، الذي يملك خاصية الإيحاء والتأثير.

وفي ترجماته للشيخ محمد إلياس، ومحمد زكريا، يحرص على التركيز على الجهاد في سبيل الدعوة[٣٥٧]، فهو يقدم التراجم لتكون سنداً لعمله الدعوي، وهو يختار الشخصيات المترجم لها من الشخصيات ذات الأثر الفاعل المرتبطة بالعمل من أجل الإسلام، ليقتدى بها وبمنهجها[٣٥٨] .

ومن ذلك موسوعته الأدبية عن رجال الفكر والدعوة في الإسلام، وهي كما يقول محمد رجب البيومي : «موسوعة أدبية حافلة .. ولكن تراجم أبي الحسن ذات نبض حيّ ، حتى ليصلح أن يكون شعراً منثوراً ..»[٣٥٩] .

وهدفه المؤكد من كتابة التراجم والسير، هو استخدام موهبته الأدبية في دعوته، وفي مسعاه الإصلاحي العظيم، ولذلك أقدم على كتابة قصة حياته، التي هي في واقع الأمر تأريخ لفكره ودعوته، ومجهوداته، ومجهودات من تواصل معهم لخدمة الإسلام والمسلمين والإنسانية، ولهذا يقول عن تأليفه كتاب «في مسيرة الحياة»[٣٦٠] قلت في نفسي إنه لو مرّت بالقراء ضمن قصتي المتواضعة هذه الحقائق الجليلة لكانت زاداً للعبرة والعظة، ودافعاً إلى علوّ الهمة والطموح[٣٦١] . والكتاب كما قال عنه أديب العربية الشيخ علي الطنطاوي رحمه الله

«كتاب أبي الحسن ليس سرداً لأحداث حياته، ولكنه كتاب تاريخ، وكتاب أدب فيه وصف للأمكنة كأنك تراها، وكتاب علم فيه ذكر العلماء ومجالس العلم، وسجل اجتماعي فيه وصف عادات الناس وأوضاعهم في الهند»[٣٦٢] .

٥ - الترجمة :

من ميزات أبي الحسن إجادته الفائقة للأردية والعربية والإنجليزية وكذلك الفارسية، ولذلك فهو يضيف هنا موهبة أدبية أخرى، إلى ألوان إنتاجه الأدبي الذي وظّفه لخدمة عقيدته ودعوته الإسلامية، تلك هي ما قدّمه من ترجمات من العربية وإليها وخاصة ما ترجمه من الأردية، وعلى وجه الخصوص ترجمته لأشعار محمد إقبال، شاعر الإسلام المتميز، كان من بواكير ترجماته، ترجمة قصيدة «القمر» لإقبال عام ١٩٢٩م[٣٦٣] ، ويذكر الشيخ أن الشاعر نظر فيها عند سفره الأول إلى لاهور[٣٦٤] ؛ ولم يكن الشيخ في ذلك الوقت يرى في شعر إقبال ذلك السمو الفكري، والتحليق المعنوي، إلا بعد أن اطلع على شعره الأخير في «ضرب كليم» حيث تفتحت عينه، على سحر شعر جديد، فيه سمو الفكر، ثم زاد إعجابه به وتأثره بشعره لما قرأ «بال جبريل» إذ وجد فيه كما يقول عنه: «مع سمو الأفكار وجمال النغمة وحلاوة الجرس، وقرأت دواوينه الشعرية الأخرى في الفارسية، وتأثرت به عقليتي، وتفكيري وقلبي تأثراً لا أعرفه في حدود الأدب والشعر والفكر الإسلامي القوي بأي شخصية معاصرة أخرى»[٣٦٥] وقد بلغ إعجابه بشعر إقبال حداً جعله يقول عنه : «.. ولكن تراءى لي أن مصدر آراء إقبال وأفكاره وخواطره، ومنبع نغماته وأناشيده فوق قدرتي ووراء إدراكي، وكنت أشعر بسماعها أو قراءتها كأنها خواطر عالم آخر وأفكاره، وأن علاقتها ليست بالعلم والذكاء وسعة المطالعة وكثرة المعلومات، إنما هو فيض ربّاني، ورشحة من الرشحات العلوية، إنها عبقرية لا تدين للذكاء وسعة العلم وقوة التعبير، وإنما هي هبة من هبات الله التي لا نهاية لها»[٣٦٦] .

وقد بيّن في كتاب «روائع إقبال»، الذي نقل لنا فيه نماذج كثيرة من أشعار إقبال التي رأى فيها أبو الحسن صفة الروعة والجمال، بيّن أسباب إعجابه بشعر إقبال بالدرجة الأولى ما وجده عنده من الطموح والحب والإيمان، وأن هذا المزيج الجميل قد تجلّى في شعره، وفي رسالته أعظم مما تجلّى في شعر معاصر لأحد غيره ، كما أحبه لما فيه من حرص على سيادة الإسلام، وأنه شاعر له عقيدة ودعوة ورسالة ، يراه أعظم ثائر على الحضارة المادية ، وناقد لها[٣٦٧] ، كما يراه شاعراً صاحب دور في التوجيه وتغيير الاتجاهات والميول ؛ بسبب تأثيره في القلوب والنفوس، ومرد ذلك إلى أنه أدب يصدر من القلب الحيّ، ويرتوي من دم هذا القلب الذي هام بحب الرسول الأعظم ﷺ[٣٦٨] .

٦ - الآراء الأدبيّة والنقدية :

لقد أدرك أبو الحسن منذ البداية أهمية اللغة والأدب في حمل الرسالة وتبليغها[٣٦٩]، وهذا أمر طبيعي بالنظر إلى أن الإنسان كائن لغوي يفكر باللغة ويتواصل بها مع غيره؛ ولهذا وجدنا القرآن نفسه، ورسول الإسلام يهتم باللغة والأدب، ووجدنا اللغة الأدبية العالية هي وعاء الرسالة، ولذلك ليس من المستغرب أن تكون اهتمامات أبي الحسن الأدبية مسايرة لاهتماماته الدعوية، بل هي جزء منها، وفصل من فصولها، دون نبوّ أو نشاز ، وكان بحق شخصية إسلامية متكاملة، فجاءت آراؤه الأدبية والنقدية مكملة لجهوده الدعوية الإصلاحية، وفي الوقت نفسه خادمة لها.

ولهذا وجدنا آراءه الأدبية والنقدية مبثوثة في كتبه المتعددة؛ ووجدناها موجودة في مسيرته منذ البداية ولم تكن نتيجة مرحلة معينة، أو بسبب تطور فكري أو أدبي خاص، وظلت هذه الآراء والملحوظات تنمو في تراثه، وتتكاثر مع تواصل مسيرة الحياة وتكاثر تجاربها، ولعل

الوقت المتاح لمثل هذه العجالة لا يسمح بالبحث المتقصّي لهذه الآراء، وتوضيحها وتحليل أبعادها لأنها كثيرة متشعبة، وتستدعي مناقشة أفكارها الجزئية وتناصّها مع آراء آخرين من الأدباء والنقاد، توافقاً أو تقاطعاً، أو سبقاً ومتابعة ، ولهذا فسنكتفي بالإشارة فقط، إضافة إلى أن الهدف من هذا البحث يتجه إلى إبراز توظيف الأدب في نشاط أبي الحسن الدعوي أكثر منه دارساً للجوانب الأدبية والنقدية عنده بصورة مباشرة. إضافة إلى أن هناك رسالة علمية قد اعتنت بشكل مباشر بجهود أبي الحسن في تأصيل منهج الأدب الإسلامي، وقدّمت في هذا الصدد دراسة جادة متميزة[٣٧٠] .

كانت روح المعلم النابه والداعية المخلص، والناقد اللمّاح، وراء تمييزه بين أدب الصنعة والتكلف، وأدب الطبع والفطرة، ورفضه لذلك، وسعيه لإتاحة الفرصة لهذا لكي يحدث الأثر، ويحمل الرسالة، وأدرك أهمية ذلك في بناء التعليم على أساسه، ومن هنا اتجه إلى تأليف كتاب يحوي ذخيرة من النماذج العالية لهذا الأدب المختار[٣٧١] ، الجدير بأن يتتلمذ عليه الطلاب والدارسون، ففكر في وضع مختارات من النثر الأدبي في اللغة العربية تحتوي على النماذج الأدبية العالية من القرن الأول إلى العصر الحاضر، تتحرر من قيود السجع والتكلف، وتعبر عن العواطف والمشاعر والوجدان التصورات السليمة الصالحة والمقاصد والغايات السامية»[٣٧٢] ونلاحظ هنا أن همّه قد اتجه إلى جانبي العمل الأدبي المتعانقين الشكل والمضمون.

ونبّه إلى خطورة تسلط أصحاب الصناعة والتكلف على الأدب الذي يتخذونه حرفة ، وطغيانه على كل ما يؤثر عن الأمة، وما تحويه مكتبها الغنية، من أدب طبيعي مرسل وتعبير بليغ[٣٧٣] ، مما أدىّ إلى أن يغفل مؤرخو الأدب، وأن يقصروا نظرهم عن الالتفات إلى ما أنتجته الأمة عبر تاريخها الطويل، وما حوته مصادرها من ألوان متنوعة من الأدب الفطري الجميل، هذا الأدب الذي نجد أمثاله ونماذجه في كتب الحديث والسيرة المشتملة على روائع من البيان المعبر الجميل المشحون بالعواطف والانفعالات والبلاغة السامية في مبناها ومعناها[٣٧٤].

وكما كان رائداً في إعادة استعراض الأدب العربي والتأريخ له من جديد، وبعث كنوزه المطمورة، كان رائداً في الاهتمام بأدب الأطفال وتقديم نماذج حيوية، وكانت له آراؤه القيمة في كيفية الكتابة للطفل، واختيار اللغة المناسبة، وأن تكون حاملة للمضمون المقصود الذي يزود الطفل بما يكرّه لهم الكفر والمعاصي، ويُحبب إليهم الإيمان والعقيدة، كل ذلك بطريقة ضمنية غير مباشرة .

وفي الوقت الذي ينادي إلى أن يحمل المضمون الإسلامي لغة فنية جميلة، يحس بالغيرة على العربية الفصيحة التي نزل بها القرآن الكريم، وتحدث بها الرسول ﷺ أن تسخر للأغراض التافهة، كمثل ما قرأ في روايات الأغاني، وأدبها الساحر، وتعبيرها الجميل وتصويرها البارع لخواطر النفس وأشكال الحياة، ويرى أن الأولى أن تستخدم مثل هذه الملكة البيانية، وهذه الثروة اللغوية الفذة، وهذا الأسلوب القصصي الخفيف الجميل في مقاصد شريفة وأغراض نبيلة ، وفي تصوير مشرق من تاريخ جميل مشرق[٣٧٥] .

اهتم سماحته منذ وقت مبكر بالدعوة إلى الأدب الإسلامي، الذي يحمل الرسالة الإسلامية ويعبر عنها، ويواجه الأدب المنحرف، منطلقاً من موقف الإسلام، ومعبراً عن المشاعر الإسلامية[٣٧٦] ، وواكب هذه الدعوة من خلال حركتها وتطورها بجهوده المستمرة، بأثره الفاعل، ورفده المستمر لحركة هذا الأدب فكراً وقولاً وتأليفاً[٣٧٧] ، ونقداً وعملاً، واحتضاناً للقاءاته وندواته ومؤتمراته، وحضوراً لدوراتها المتعددة .

ويشير إلى خطورة التيارات الفكرية الجديدة

الوافدة من الغرب، وأنها ذات طبيعة منبثقة مع طبيعة اتجاهات أدباء الغرب وحياتهم المادية والمسيحية والعلمانية والإلحادية ، ولكنها بطبيعة الحال تتفق مع طبيعة العرب واتجاهاتهم وظروف بيئتهم[٣٧٨] ، ويقول : «لقد مضى علينا قرن كامل، وأوربا تغتصب شبابنا وعقولنا، وتنبت في عقولنا الشك والإلحاد والنفاق، وعدم الثقة بالحقائق الإيمانية والغيبية، والإيمان بالفلسفات الجديدة، الاقتصادية والسياسية، ونحن معرضون عن مقاومتها، معتمدون على ما عندنا من تراث مضروبون عن الإنتاج الجديد، حتى فوجئنا في العصر الأخير بانهيار العالم الإسلامي»[٣٧٩] .

ومن أهم كتب أبي الحسن التي ضمت خلاصة مركزة جامعة لآرائه الأدبية والنقدية كتابه القيم العميق «نظرات في الأدب» وكتب عبد الباسط بدر تقديماً له ، ذكر فيه أن هذا الكتاب يتميّز بميزتين نادرتين ، الأولى: أنه نتاج قلم يحمل في تكوينه ثلاث سمات متكاملة متداخلة : الأدب والفكرة والدعوة إلى الله. الثانية : أنه في مجمله كتاب تنظير وتقعيد أقرب إلى أن يكون بيان مبادئ للأدب الإسلامي، يؤصل بشكل مباشر، وغير مباشر مجموعة من الأعراف الأدبية والنقدية»[٣٨٠] .

يؤكد أبو الحسن في مناسبات كثيرة على أن الأدب رسالة سامية، يجب أن يسودها الإخلاص والصدق، وأن يحفل بالحياة، ويعبر عن العاطفة والوجدان[٣٨١]، وأن الأدباء الذين يكتبون عن فكرة أو عقيدة يستجيبون «لنداء ضميرهم وعقيدتهم مندفعين منبعثين ، فتشتعل مواهبهم، وينبض خاطرهم، ويتحرّق قلبهم، فتنهال عليهم المعاني ، وتطاوعهم الألفاظ ، وتؤثر كتاباتهم في نفوس قرائها؛ لأنها أخرجت من القلب فلا تستقر إلا في القلب، أما هؤلاء المتصنعون فإنهم في كتاباتهم الأدبية أشبه بالممثلين..»[٣٨٢] .

٧ - جهوده في خدمة الأدب الإسلامي:

إن الجهود التي بذلها أبو الحسن في خدمة هذا الأدب، كثيرة وشاملة وابتدأت مع نشاطه العلمي والدعوي، أي من قبل أن يدعو للأدب الإسلامي، وقبل أن يستخدم هذا المصطلح في مجمع اللغة العربية في دمشق، ولكنها برزت بشكل منظم حين أسس مجموعة من الفضلاء رابطة الأدب الإسلامي، التي احتضنها، ورعاها فكرة، ثم حقيقة واقعة، ورعى ندواتها وشارك في مؤتمراتها، وأصّل الأدب الإسلامي، في مجاليه ؛ الفكري التنظيري، والإبداعي بما قدمه من تراث أدبي ضخم في مجالات وأجناس متعددة كما اتضح في الصفحات السابقة.

٨ - أسلوبه الأدبي وبلاغته :

لقد كان لثقافته اللغوية والأدبية الواسعة، ولنفسه المرهفة وأحاسيسه الشاعرة، العامل القوي في أن يتذوق بلاغة القرآن الكريم، والحديث النبوي الشريف، ونصوص البلغاء من نثر وشعر في العربية والأردية والفارسية، وانعكس ذلك على أسلوبه المتميز سواءً في الكلمات والألفاظ، أو في العبارات والتراكيب، أو في روح نصوصه العامة، التي جاءت سهلة جميلة ممتعة، يمكن أن نطلق عليها في سهولتها واسترسالها ودقة بنائها وسلامة معانيها، وتأثير بلاغتها بأنها السهل الممتنع.

وكان حريصاً على أن يستخدم العربية الفصيحة في تعبيرها الجميل وتصويرها البارع لخواطر النفس وأشكال الحياة، وكان معجباً بأسلوب الأصفهاني في لغته البيانية، وتصويره المشرق، وكان يتمنى أن تستخدم تلك اللغة وفي أسلوبها الجميل في المقاصد الشريفة، والأغراض النبيلة، ولهذا سعى من أجل أن يحاكي مثل هذا الأسلوب، تحقيقاً لغاياته الدعوية النبيلة، ويقول عن هذه الناحية : «وقد حاولت بقدر استطاعتي أن أحاكي هذا الاسلوب في هذه القصص التي أخذتها على عجل من

تاريخ الإصلاح والتجديد في الهند، فإن لم يتحقق لي نجاح الأصفهاني وغيره - وأنى أن يدرك الضالع شأو الضليع- فلا يفوتني فائدة التقليد لأسلوب ساحر، ولا يفوتني نية القاصد وأجر العامل»[٣٨٣]. وكانت الكتابة بأسلوب أدبي بليغ هدفاً يسعى إليه، ومسألة انتبه لها واعتنى بها، واحتفل بها، ومصداق ذلك نجده في كتاباته ومؤلفاته، كمنا أنه اعترف لنا بهذا الهم الذي يشغله في هذا الجانب مثل قوله : «.. ولم يكن أمامي إذْ ذاك مثال أو أنموذج لمثل هذه المقالات التي تجمع بين قوّة الدعوة، والعاطفة الدينية، والقلم القوي البليغ، واللغة العذبة السلسة».

«وقد كانت اللغة العربية - إلى ذلك الحين - تنقصها مقالات ورسائل، دعوية تمتاز بالثقة والحماس، والاندفاع الداخلي، والحرارة الإيمانية المتدفقة، وخوطب فيها من مستوى الداعية العالي الرفيع، وتجمع في نفس الوقت ، قوة الاستدلال والجد والرزانة والعذوبة والسيلان».

«ولما عزمت على بدء هذه السلسلة من المقالات حمدت الله - تعالى - على منهج التعليم الذي اختير لي، ومقررات اللغة العربية وآدابها التي درستها والبيئة التي عشت فيها ..»[٣٨٤] .

وقد شهد الأدباء والدارسون لتفوق أبي الحسن الأدبي، وبلاغة أسلوبه[٣٨٥]، فيقول محمد المجذوب مثلاً : «ومتبع ما يكتب الشيخ الندوي يشعر بأن لعبارته الأدبية سحراً، لا يتوافر في العادة إلا في العلية من أصحاب المواهب الذين تعمقوا في سر الكلمة، وتفاعلوا به، وكان لقلوبهم أكبر الأثر فيما يصوغونه، وتلك الخاصة الرئيسة»[٣٨٦] ويرون أن له نزعة أدبية وأسلوباً بليغاً، وتذوقاً للعربية وآدابها[٣٨٧]. وأنه وفق إلى إنشاء مدرسة أدبيّة تخرج فيها كثير من الكُتّاب والأدباء الإسلاميين[٣٨٨].

الهوامش

١ - في مسيرة الحياة ٩/٣ .

٢ - انظر : النَّدْوي ؛ في مسيرة الحياة ٢٨/١-٢٩ .

٣ - له ترجمة في المجلد الخامس من كتاب «نزهة الخواطر» ص٢٨٦-٢٨٨ للسيد عبد الحي الحسني .

٤ - أبو الحسن الندوي ، في مسيرة الحياة ، ٢٩/١ .

٥ - انظر السابق ٢٩/١ .

٦ - انظر السابق ٣٠/١ .

٧ - انظر السابق ٥٨/١-٥٩ .

٨ - انظر السابق ٤٧/١-٤٩ .

٩ - انظر السابق ٤٩/١ .

١٠- السابق ، ٥٦/١ .

١١- علق الشيخ الندوي على ذلك بقوله: «وكانت عادة منتشرة في البلاد خارج أسرتي التي لم تقتبس هذه العادة ولم تكن من أعرافها» انظر في مسيرة الحياة ٧٥/١ (الهامش).

١٢- نفسه ، ٥٧/١-٥٨ .

١٣- انظر السابق ٤٢/١ و ٧١/١، ٧٦، ٧٧ ، وكان أخوه يعنى بمراقبته ومتابعته بشأن المحافظة على الصلاة وكان يراقبه في نوعية الكتب التي يطالعها، بل كان يختار له الجيّد النافع، وكان أوّل كتاب ناوله إياه من هذه الكتب هو كتاب «سيرة خير البشر» ثم قرأ بعده كتاب «رحمة للعالمين» في السيرة النبوية أيضاً، انظر في مسيرة الحياة ٧٦/١ .

١٤- انظر السابق ٧٢/١ .

١٥- انظر السابق ٧٨/١، ٧٩ .

١٦- انظر السابق ٨٠/١ . وقد أتقن دراسة الأدب العربي وتخصص فيه على يد تقي الدين الهلالي المراكشي، عند مجيئه إلى ندوة العلماء عام ١٩٣٠م ، انظر «ملامح من حياة أبي الحسن» بقلم : سيّد عبد الماجد الفوري في كتاب (المدخل إلى الدراسات القرآنية) ص ٦ ، دار ابن كثير.

١٧- أبو الحسن ، السابق ١/٨٩ .
١٨- انظر : سمير عبد الحميد إبراهيم؛ الأدب الأردي الإسلامي، جامعة الإمام محمد، ١٩٩١م.
١٩- انظر : سيد عبد الماجد الفوري ، ملامح من حياة السيد أبي الحسن، كتاب المدخل ، ص٦ .
٢٠- انظر السابق ص٧ ، انظر : في مسيرة الحياة ١/٨٧ .
٢١- رئيس ندوة العلماء .
٢٢- سورة إبراهيم ، الآية : ٤ .
٢٣- مقدمة الأديب على الطنطاوي لكتاب في مسيرة الحياة ١/١٤-١٥ .
٢٤- انظر : الشيخ علي الطنطاوي في مقدمته لكتاب (في مسيرة الحياة ١/٩-١٤) ، وعبد الباسط بدر في مقدمته لكتاب (نظرات في الأدب) ص٧-٨ ، وأحمد عبد العزيز الجليبي؛ جهود أبي الحسن الندوي في الفكر الإسلامي المعاصر - الشيخ أبو الحسن الندوي - بحوث ودراسات ص٣٠٨ وسواهم .
٢٥- في مسيرة الحياة ١/٨٠ .
٢٦- انظر السابق ١/١٨٥ .
٢٧- انظر : محمد رجب البيومي ؛ أبو الحسن الندوي ... ، مجلة الأدب الإسلامي (العدد الخاص عن أبي الحسن ، ١٤٢١هـ ، ص٢٣ .
٢٨- أبو الحسن ، في مسيرة الحياة ١/١٢٨ .
٢٩- منشئ حركة الدعوة الدينية الشعبية التي تعرف بحركة التبليغ، وقد كان للندوي على الرغم من هذه العلاقة الدعوية بعض الملحوظات ، وكان له موقف منها أشار إليه في كتابه في مسيرة الحياة ١/١٩٢ .
٣٠- مسيرة الحياة ١/١٦٢ .
٣١- انظر السابق ١/١٨٦ .
٣٢- كان من قادة العصبة الإسلامية قبل التقسيم .
٣٣- أبو الحسن ؛ في مسيرة الحياة ١/١٨٩-١٩٠ وأثر خطابة الشيخ أبي الحسن في سامعيه حق وقد عشت هذه التجربة فأحسست بأثرها، واستمتعت بجمالها الأخاذ حيث كنت طالباً في بداية المرحلة المتوسطة في معهد الرياض العلمي، حيث ألقى أبو الحسن في إحدى زياراته للرياض محاضرة ضافية رائعة في قاعة الاحتفالات في مبنى المعهد والكليتين في شارع الوزير بجوار مصلى العيد، وأذكر أنه تحدّث في ذلك اللقاء عن التاريخ الإسلامي وجهود الدعاة الفاتحين من الصحابة وشنّف أسماعنا وأمتع أرواحنا بقصة ربعي بن عامر وكلامه البليغ المؤثر في خطابه لرستم قائد الجيوش الفارسية .
٣٤- انظر : محمد اجتباء الندوي، الشيخ أبو الحسن؛ مجلة الأدب الإسلامي العدد الخاص بأبي الحسن ، ص٦٦.
٣٥- انظر : سيّد عبد الماجد الفوري؛ ملامح من حياة العلامة .. ، المدخل إلى الدراسات القرآنية ، ص٧ .
٣٦- أبو الحسن؛ في مسيرة الحياة ١/١٢٠ .
٣٧- انظر : يوسف القرضاوي، الإمام أبو الحسن .. ، مجلة الأدب الإسلامي (العدد الخاص بأبي الحسن) ص١٥٠.
٣٨- انظر: محمد كاظم الظواهري؛ الشيخ أبو الحسن الندوي، بحوث ودراسات، ص٢١٩.
٣٩- انظر كتاب «نظرات في الأدب» ، و«مختارات من أدب العرب» و«روائع إقبال» .
٤٠- انظر الندوي ، نظرات في الأدب ص١١٥، ١١٨، وانظر الظواهري ؛ بحوث ودراسات ، ص٢١٩-٢٢٠.
٤١- انظر : قيمة الأمة الإسلامية بين الأمم ، ص١٣٧ .
٤٢- أبو الحسن الندوي في سيرته الذاتية؛ الشيخ أبو الحسن الندوي بحوث ودراسات ، ص٢٨ .
٤٣- سماحة الشيخ أبي الحسن ، بحوث ودراسات ، ص٤٠٦ .
٤٤- مقدمة في مسيرة الحياة ١/١٣، وانظر سمير عبد الحميد ، أدب الرحلة (الشيخ أبو الحسن الندوي بحوث ودراسات .. ص١٤٩ ، وانظره نفسه في كتابه «الأدب الأردي الإسلامي» ، ص٦٥٧) .

٤٥- انظر : الندوي ؛ في مسيرة الحياة ١/١٥٩ .
٤٦- الندوي ؛ مختارات من أدب العرب، ص١٥-١٦ .
٤٧- انظر الندوي ؛ نظرات في الأدب ص ١٠٥-١٠٦ .
٤٨- السابق ، ص١٠٦ ، وانظر : عبده زايد ، أضواء على آثار الشيخ .. مجلة الأدب الإسلامي العدد
٤٩- الشيخ علي الطنطاوي ، تقديم كتابه الطريق إلى المدينة ، ص١٢ .
٥٠- انظر : أحمد بن عبد العزيز الجليبي ؛ جهود أبي الحسن ؛ أبو الحسن ... بحوث ودراسات ، ص٣٥ . وانظر: في مسيرة الحياة ١/١٧٢ .
٥١- أبو الحسن ، ماذا خسر العالم بإنحطاط المسلمين ص٢٩٥-٢٩٨.
٥٢- انظر كتابه: إلى الإسلام من جديد.
٥٣- انظر : الندوي ، في مسيرة الحياة ١/٢٠٩ .
٥٤- انظر تقديمه لكتاب أبي الحسن في مسيرة الحياة ١/١٤ .
٥٥- الظواهري، خواطر ولمحات ؛ الشيخ أبو الحسن .. ؛ بحوث ودراسات ص٢٠٨-٢٠٩ . وانظر : في مسيرة الحياة ١/١٥٩، ١٦٠ .
٥٦- محمد هيشور، أبو الحسن الندوي..؛ مجلة الأدب الإسلامي (العدد الخاص عن الشيخ) ص ١٢١. وانظر الندوي، في مسيرة الحياة ١/ ٣١٥-٣١٦ .
٥٧- محمد هيشور السابق .
٥٨- الندوي، نظرات في الأدب ص٣٣. وانظر الوشمي ؛ جهود أبي الحسن .. ص ٣٧٩ .
٥٩- الندوي في مسيرة الحياة ٢/٢٢٢، وانظر الصفحات ٢٢٣-٢٢٤ .
٦٠- انظر : سعيد الأعظمي الندوي ؛ سماحة العلامة..؛ الشيخ أبو الحسن..، بحوث ودراسات ص١٣١.
٦١- أبو الحسن : في مسيرة الحياة ١/١٥٤ .
٦٢- السابق ، ١/١١٩ .
٦٣- السابق ١/١٧٢ .
٦٤- انظر : محمد الرابع الحسني الندوي ؛ قضايا المسلمين في الهند..، الشيخ أبو الحسن .. ، بحوث ودراسات ص٦٢ .
٦٥- انظر : محمد رجب البيومي ؛ أبو الحسن الندوي ، مجلة الأدب الإسلامي ، العدد الخاص عن الشيخ ص٢٥. وانظر : سعيد الأعظمي الندوي، سماحة العلامة..؛ الشيخ أبو الحسن .. ، بحوث ودراسات ص ١٢٥-١٢٧ . وانظر : في مسيرة الحياة ٣/٥-٦. وانظر : سيّد عبد المجيد الغوري ، ملامح من حياة العلامة ، المدخل إلى الدراسات القرآنية .
٦٦- انظر : جابر قميحة ؛ في مسيرة الحياة الأبعاد والمنهج ؛ مجلة الأدب الإسلامي (العدد الخاص عن الشيخ) ، ص٧٩ .
٦٧- في مسيرة الحياة ١/١٨٧-١٨٨ .
٦٨- انظر السابق ١/١٩٤ .
٦٩- انظر السابق ١/١٧٣ .
٧٠- انظر: محمد اجتباء الندوي ، منهج سماحة الشيخ ، الشيخ أبو الحسن الندوي، بحوث ودراسات.. ص٤٠٦.
٧١- قيمة الأمة الإسلامية بين الأمم ، ص٣٧ .
٧٢- انظر : محمد واضح رشيد الندوي، المنهج السياسي الشيخ أبو الحسن ، بحوث ودراسات ص ١٣٦-١٣٧.
٧٣- في مسيرة الحياة ١/٢٤٧ .
٧٤- انظر : محمد واضح رشيد الندوي، المنهج السياسي .. ، الشيخ أبو الحسن ، بحوث ودراسات ص١٣٧.
٧٥- كان من كبار زعماء الهند السياسيين وأحد الخطباء المقتدرين بالإنجليزية . انظر هامش ٢ في مسيرة الحياة ١/٢٥٠ .
٧٦- في مسيرة الحياة ١/٢٥٠ .
٧٧- انظر السابق ١/٢٥٠ -٢٥١ .
٧٨- انظر السابق ١/٣٣٧-٣٤٠ ، وانظر : محمد الرابع الندوي؛ قضايا المسلمين في الهند؛ الشيخ أبو الحسن ..؛ بحوث ودراسات ص٦٤-٦٥ .
٧٩- في صفر عام ١٤٠٨هـ .
٨٠- انظر : محمد اجتباء الندوي، منهج سماحة الشيخ .. ، الشيخ أبو الحسن ، بحوث ودراسات

ص٣٩٩-٤٢٣ (فقد اقتبس هذا الإيجاز منه مع تصرف يسير) ، وانظر: عبد الحليم عويس ؛ الشيخ: أبو الحسن الندوي وقضايا الأمة العربية؛ الشيخ أبو الحسن .. ، بحوث ودراسات ص٦٩-١٠٩ . وانظر : يوسف القرضاوي ؛ ركائز الفقه الدعوي عند العلامة أبي الحسن ، الشيخ أبو الحسن ... ، بحوث ودراسات ص٣١-٤٢ ، حيث بلغت العشرين ركيزة .

٨١- انظر : محمد رجب البيومي ، أبو الحسن ، ص٢٣-٢٤ .

٨٢- سورة الأنفال ، الآية : ٧٣ .

٨٣- في مسيرة الحياة ٣٢١/١-٣٢٢ .

٨٤- انظر: محمد الرابع الندوي، قضايا المسلمين في الهند ؛ الشيخ أبو الحسن..، بحوث ودراسات ص٦٣.

٨٥- انظر : محمد واضح رشيد الندوي، المنهج السياسي .. ، بحوث ودراسات ص١٣٥. وانظر: في مسيرة الحياة ٣٣٣/١-٣٣٤ و٣٤٠/١-٣٤١ .

٨٦- انظر: مسيرة الحياة ٥٧/١ .

٨٧- السابق ٥٧/١-٥٨ . وكان للقائه بالداعية محمد إلياس الرائد في دعوة التبليغ التي تقوم على الوعظ والإرشاد الخطابي، وإعجابه بطريقته التي تقوم على اللقاء المباشر، أثره في أن يندفع في نشاطه الدعوي القائم على الخطابة وبيان اللسان؛ انظر: محمد رجب البيومي، أبو الحسن...؛ الشيخ أبو الحسن ...، بحوث ودراسات ص١٤. وانظر : الندوي ، في مسيرة الحياة ١٦١/١ ، ١٨٥-١٩٤ .

٨٨- انظر : الندوي : في مسيرة الحياة ١٦٥/١-١٦٦ .

٨٩- نشرت أولاً في مصر ثم نشرت في دمشق والهند. انظر: في مسيرة الحياة ١٧٣/١ .

٩٠- انظر السابق ١٧٣/١-١٧٤ .

٩١- كان عمره آنذاك لم يتجاوز ثلاث عشرة سنة، ويقول الشيخ عن هذه الترجمة : «ولم تفقد الترجمة شيئاً من قوة الخطابة وطلاقتها وحماستها، مما كان ينبئ باستعداد هذا الشاب النجيب الموهوب وصلاحيته للكتابة والإنشاء ...» في مسيرة الحياة ٢٠٨/١.

٩٢- انظر في مسيرة الحياة ٢٠٨/١ .

٩٣- انظر : سعيد الأعظمي الندوي ، سماحة العلامة .. ؛ الشيخ أبو الحسن ...؛ بحوث ودراسات ، ص١٢٨.

٩٤- انظر : في مسيرة الحياة ٢٢٥/١.

٩٥- انظر : سعيد الأعظمي الندوي، سماحة العلامة، ص١٣١. وكان للشيخ أيضاً محاضرات أخرى منها : محاضرة في جامعة فؤاد الأول ، جامعة القاهرة، بعنوان «الإنسان الكامل في نظر إقبال» ومحاضرة في دار الشبان المسلمين بعنوان : «العالم على مفترق الطرق» وكانت خطبة مرتجلة، ومحاضرة أخرى، نشرت بمصر أثناء إقامته بها بعنوان «الدعوة الإسلامية وتطورها في الهند» . انظر : في مسيرة الحياة ٢٢٢/١.

٩٦- انظر : في مسيرة الحياة ٢٤٠/١، وقد نشرت بعد ذلك بعنوان «العوامل الأساسية في كارثة فلسطين»، ونشرت في بيروت في رسالة مستقلة، كما نشرت ضمن كتاب المؤلف «المسلمون وقضية فلسطين».

٩٧- انظر السابق ٢٤١/١ .

٩٨- انظر السابق ٢٤٤/١ .

٩٩- انظر السابق ٢٥٥/١-٢٥٩ .

١٠٠- كان الملك سعود - رحمه الله - قد تبرّع لهذه المؤسسة بمبلغ من المال فسميت باسمه .

١٠١- انظر : في مسيرة الحياة ٢٦٠/١-٢٦٢ .

١٠٢- انظر السابق ٢٦٢/١ .

١٠٣- انظر السابق ٢٨٩/١ .

١٠٤- انظر السابق ٢٩٧/١ .

١٠٥- انظر السابق ٣٢٥/١-٣٢٦ ، وقد ألقى خطاباً في الموضوع نفسه في العام التالي ١٣٨٩هـ في المدرسة الثانوية بالمدينة المنورة .

١٠٦- انظر السابق ٣٤٤/١-٣٤٦ . وانظر : ٤٠/٢ ونشر الخطاب

بعنوان "مأساة الجاهلية اللغوية والحضارية ودروسها" في عدة لغات هي العربية والأردية والإنكليزية والبنغالية .

١٠٧- انظر السابق ٣٥٣/١ .

١٠٨- السابق ٣٥٣/١ .

١٠٩- انظر السابق ٣٥٣/١ .

١١٠- انظر السابق ٣٥٣/١ .

١١١- كان الشيخ يعرفه شخصياً، وزامله في جلسات الرابطة .

١١٢- انظر السابق ٣٧٧/١ .

١١٣- انظر السابق ٣٨٠/١-٣٨١ .

١١٤- انظر السابق ٤٠٨/١ .

١١٥- انظر السابق ٤٠٩/١ .

١١٦- مؤسسة تعليمية كبيرة في سيلان مؤسسها الحاج محمد نظيم .

١١٧- انظر السابق ٤١٩/١ .

١١٨- انظر السابق ٤١٩/١ .

١١٩- نشر الخطاب في كتاب الشيخ «أحاديث صريحة لإخواننا العرب».

١٢٠- انظر السابق ٤٢٨/١- ٤٢٩ . وانظر : سورة هود ، الآية : ١١٦.

١٢١- انظر السابق ٤٢٩/١ .

١٢٢- صحيح البخاري ، كتاب المغازي.

١٢٣- انظر : في مسيرة الحياة ٢١/٢-٣١ .

١٢٤- انظر السابق ٣٥/٢-٣٦ .

١٢٥- انظر السابق ٣٧/٢-٣٨ .

١٢٦- انظر السابق ٤٣/٢ .

١٢٧- انظر السابق ٤١/٢-٤٤ .

١٢٨- انظر السابق ٤٥/٢-٤٦ .

١٢٩- انظر السابق ٤٧/٢-٥٥ .

١٣٠- سورة الأنفال، الآية : ٧٣ .

١٣١- انظر صحيح البخاري ٤٣/١ ، الطبعة الهندية، باب كتابة الإمام الناس / كتاب الجهد . وفي بعض الروايات أن الأنفال نزلت في غزوة بدر، وعدد المسلمين وقتها أقل (انظر: في مسيرة الحياة ٧٦/١ - الهامش).

١٣٢- في مسيرة الحياة ٧١/٢-٧٨ . أثرت نقل هذا الجزء من الخطاب ليكون نموذجاً، ثم لمناسبته للمرحلة الحالية من تاريخ الأمة .

١٣٣- ترجمها إلى الإنجليزية في الجلسة فرحان نظامي .

١٣٤- السابق ٨١/٢. وذكر الشيخ أنه قام بعده ممثل الجامعة ك. ب كريفن فقال في كلمته : «إن تأثير الإسلام على الحضارة البشرية والمدنية الإنسانية تأثير عميق خالد، وذكر شيئاً عن المساجد في منطقة صينية لعلها (سنكيانك) - حيث كان قد أقام برهة من الدهر- وأنها أسست في القرن الرابع عشر المسيحي، وقال إن محمداً ﷺ كان في الصين قبل (ماو) و(ماركس) ولن يزال هناك بعد زوالهما وانقضائهما، وقد كان من الضرورة بمكان أن يقام مثل هذا المركز الإسلامي في رحاب هذه الجامعة .

١٣٥- انظر السابق ٨٣/٢ .

١٣٦- انظر السابق ٨٧/٢-٨٨ .

١٣٧- انظر السابق ١٢٤/٢ .

١٣٨- انظر السابق ١٢٤/٢-١٢٦ .

١٣٩- انظر السابق ١٢٧/٢-١٢٩ .

١٤٠- انظر السابق ١٧٨/٢-١٨٦ .

١٤١- انظر السابق ١٧٨/٢-١٨٦ .

١٤٢- انظر السابق ٢٠١/٢-٢٠٣، وقد نقلها إلى الإنجليزية محيي الدين بسرعة وإجادة وإتقان كما يذكر الشيخ. وانظر طرفاً منها في كتاب الشيخ: في مسيرة الحياة ٢٠٣/٢.

١٤٣- انظر السابق ٢٤٩/٢، ٢٥٢-٢٦٤. وانظر ٢٧/٣-٣١ .

١٤٤- انظر السابق ٢٥٠/٢ -٢٥١. وانظر ٢٤/٣-٢٦ .

١٤٥- انظر السابق ٤٤/٣-٥٠ .

١٤٦- انظر السابق ٦٤/٣ .

١٤٧- انظر : ٦٦/٣-٧٢ ، وكانت في ١٨ فبراير عام ١٩٩٠م .

١٤٨- انظر السابق ١٤٦/٣-١٥١ .

١٤٩- كانت القاعة مكتظة بالحاضرين من الأساتذة والطلبة والباحثين والشباب العربي، إضافة إلى الهنود والباكستانيين المقيمين في بريطانيا ، انظر في مسيرة الحياة ١٦١/٣-١٦٩ .

١٥٠- انظر السابق ١٧٠/٣-١٧١ .

١٥١- انظر السابق ٢٠٦/١-٢٠٧، نشر فيما بعد بعنوان «نشان راه» (معالم الطريق) .

١٥٢- انظر السابق ٣٥٧/١-٣٦١ .

١٥٣- انظر السابق ٢٦٣/١ .

١٥٤- انظر السابق ٣٠٦/١ .

١٥٥- انظر السابق ٣٧٥/١-٣٧٦ .

١٥٦- انظر السابق ٣٧٨/١ .

١٥٧- انظر السابق ١/٣٨٠ .
١٥٨- انظر السابق ١/٣٨٥-٣٨٦ .
١٥٩- كان في الفترة من ٥-٩ محرم عام ١٤٠٠هـ ، الموافق ٢٦ نوفمبر ١٩٧٩م .
١٦٠- انظر السابق ١/٣٩٤-٣٩٥ .
١٦١- انظر السابق ١/٤٠٧ .
١٦٢- انظر السابق ١/٤١١ . وقرأ العزيز سلمان الحسيني مقتطفات منها بالعربية. وقد طبعت المحاضرة بالعربية المجمع الإسلامي العلمي بلكهنؤ، وطبعت أيضاً في بيروت باسم «الإسلاميات بين كتابات المستشرقين والباحثين المسلمين» نشر مؤسسة الرسالة. وقد أصدر المجمع الإسلامي العلمي ترجمتها إلى الأردية والإنجليزية .
١٦٣- انظر السابق ١/٤١٣ .
١٦٤- انظر السابق ٢/٥٦ .
١٦٥- سورة الحج ، الآية : ٢٥ .
١٦٦- انظر السابق ٢/٢٠٧-٢٠٩ .
١٦٧- انظر السابق ٢/٢١١-٢١٣ .
١٦٨- انظر السابق ٢/٨٧.
١٦٩- انظر السابق ٢/١١٠، ١١٤-١١٥.
١٧٠- كانت الندوة في رحاب جامعة كاشف العلوم الواقعة في جامع أورتك أباد في ٢٥-٢٧ صفر ١٤٠٩هـ / ٧-٩ أكتوبر ١٩٨٨م.
١٧١- انظر السابق ٢/٢٣٢-٢٣٤ ، وانظر ٣/١٥-١٦ .
١٧٢- انظر السابق ٢/٢٤٧ .
١٧٣- عقدت في المدة من ١١-١٢ نوفمبر ١٩٨٧م.
١٧٤- انظر السابق ٢/٢٢٦ .
١٧٥- كانت في المدة من ٢٢-٢٤ نوفمبر ١٩٨٧م .
١٧٦- انظر السابق ٢/٢٢٨-٢٣٠، ألقى هذه المحاضرة بالعربية، كما ألقى خطاباً عاماً في الاحتفال بالليل حضره عدد كبير من أهل البلد.
١٧٧- في المدة من ١٢-١٦ أغسطس ١٩٨٩م .
١٧٨- انظر السابق ٣/٣٥-٣٧ .
١٧٩- انظر السابق ٣/٧٣-٨٥ .
١٨٠- انظر السابق ٣/١١٠-١١١ .
١٨١- انظر السابق ٣/١٣١-١٣٢ .
١٨٢- في المدة من ٢٧-٢٨ أكتوبر ١٩٩١م.
١٨٣- انظر السابق ٣/١٣٧ .
١٨٤- في المدة من ٢٣-٢٤ نوفمبر ١٩٩١م.
١٨٥- انظر السابق ٣/١٣٩. وقد نشرت فيما بعد رسالة مستقلة .
١٨٦- عقدت في المدة من ٥-٧ ربيع الآخر عام ١٤١٢هـ /١٩٩١م تحت إشراف دار العلوم ، تاج المساجد.
١٨٧- سورة إبراهيم ، الآية : ٢٤ .
١٨٨- انظر السابق ٣/١٣٤-١٣٥ .
١٨٩- انظر السابق ٣/١٤٥. انعقد في ١٩٩٢/١/١٢م، تحت إشراف هيئة التعليم الديني في مراد أباد .
١٩٠- عقدت في قاعة المحاضرات لفندق سلطان بإستانبول في ٣ ربيع الأول ١٤١٤هـ / ١٩٩٣م .
١٩١- انظر السابق ٣/٢٥٠ .
١٩٢- انظر السابق ٣/٢٥٥ .
١٩٣- في قاعة كلية «مالكم إكس» في شيكاغو .
١٩٤- انظر السابق ٣/٢٦٥ .
١٩٥- يذكر الشيخ أن هذا المقال كان مهماً وقوياً، وكان قد أعده للإلقاء في المركز الإسلامي بأكسفورد .
١٩٦- كان ذلك في قرارات المركز الإسلامي بأكسفورد في إحدى دوراته، وحدد المركز موعد ٢٣-٢٤ أكتوبر ١٩٩٣م موعداً لذلك .
١٩٧- متفق عليه .
١٩٨- السابق ٣/٢٨٥-٢٨٦ .
١٩٩- انظر السابق ٣/٢٨٦-٢٨٧ نشر هذا المقال بعنوان «الحديث والسنة ودرهما في الصيانة عن التحريف والإنحراف» من المجمع العلمي الإسلامي - لكهنؤ .
٢٠٠- كان ذلك عام ١٩٤٤م .
٢٠١- كان من قادة العصبة الإسلامية قبل التقسيم، وتولى الوزارة المؤتلفة في الحكومة الوطنية المؤقتة في دلهي قبل التقسيم (هامش في مسيرة الحياة ١/١٩٠) .
٢٠٢- هذا الخطاب زاد فيه الشيخ، وصاغه في صورة رسالة، ونشره بعنوان «إلى ممثلي البلاد الإسلامية».
٢٠٣- السابق ١/١٨٨-١٩٠ .
٢٠٤- عام ١٩٥١م .

٢٠٥- انظر: في مسيرة الحياة ١/٢٤١-٢٤٢.
٢٠٦- كان ذلك بعناية جماعة التبليغ بلكهنؤ بمنتزه أمين الدولة .
٢٠٧- انظر السابق ١/٢٤٩-٢٥٠ .
٢٠٨- انظر السابق ١/٢٥٠ . وانظر : محمد واضح رشيد الندوي، المنهج السياسي ... «بحوث ودراسات» ص ١٣٦-١٣٧ .
٢٠٩- كانت عام ١٣٨٩هـ / ١٩٦٩م .
٢١٠- انظر السابق ١/٣٢٠ .
٢١١- انظر السابق ١/٣٢٠ .
٢١٢- انظر السابق ١/٣٨٠ .
٢١٣- كان في الاحتفال عدد من الفضلاء العرب منهم عبد الله الزائد، وعبد المنعم النمر، ويوسف القرضاوي ، ويوسف الحجي ، وعبد الله العقيل وسواهم .
٢١٤- السابق ١/٣٩٩-٤٠٢، انظر : مقتطفات من الخطاب ص(٤٠١). وكان يحرص في اللقاءات المشتركة، وخاصة لقاءات رسالة الإنسانية وتجمعات حركتها التي أنشأها أن يتحدث بالأردية وتنشر فيما بعد إلى لغات أخرى كالهندية والإنجليزية (انظر : في مسيرة الحياة ١/٤٠٤-٤٠٥، ٢/٢٦٤-٢٦٩، ٢/٢٧٠) .
٢١٥- كان الشيخ رحمه الله على صلة بهم، عن طريق كتبه ورسائله ولقاءاته ، وقد حضروا إلى المطار في عدد كبير لاستقباله ، انظر : في مسيرة الحياة ٢/١٥١ .
٢١٦- انظر السابق : ٢/٢٤٧ .
٢١٧- البقرة : ٢٠٨ .
٢١٨- كان ذلك بسبب مشاركته في ندوة رابطة الأدب الإسلامي العالمية في إستانبول في موضوع «الأدب الإسلامي للأطفال» .
٢١٩- يقع في حي سلطان جفلي .
٢٢٠- درس في باكستان سبع سنوات، وتعلم الأردية وبرع فيها، انظر الندوي، في مسيرة الحياة ٣/٣٨.
٢٢١- انظر السابق ٣/٣٨-٤٣ ، وانظر فيه جزءاً من تلك المحاضرة .
٢٢٢- انظر السابق ٣/٩٣-٩٦ .
٢٢٣- انظر السابق ٣/١٣٨ .
٢٢٤- سورة يس ، الآية : ٣٨ .
٢٢٥- انظر السابق ٣/١٣٣ .
٢٢٦- تقع في ولاية كرناتك، وهي آهلة بالسكان من أصل (النوائط) وهم معروفون في المنطقة كلها بخصائصهم الثقافية والحضارية، ولا تزال هذه الجالية تحتفظ ببعض المزايا العربية لكونها من أصل عربي، وتقع في هذه المنطقة مدرسة دينية باسم الجامعة الإسلامية، تحت إشراف ندوة العلماء ، ومعظم أساتذتها من خريجي ندوة العلماء . (الندوي؛ في مسيرة الحياة ٣/١٤٠) .
٢٢٧- تم نشر هذه الأحاديث، ونالت القبول.
٢٢٨- انظر السابق ٣/١٤٠-١٤١ .
٢٢٩- نشرت بعنوان «أخطر مرض للبلاد والمجتمع الظلم وسفك الدماء».
٢٣٠- انظر السابق ٣/١٩٣-٢٠٩ ، وفيه الكلمتان بالتفصيل .
٢٣١- انظر السابق ٣/٢١٣-٢٢٥ .
٢٣٢- سورة طه ، الآية : ٤٤ .
٢٣٣- سورة آل عمران ، الآية : ١٥٩ .
٢٣٤- انظر : محمد الرابع الندوي؛ قضايا المسلمين في الهند؛ الشيخ أبو الحسن .. ، «بحوث ودراسات» ص٦٤-٦٦ . وانظر عن الحوارات التي يعقدها الشيخ بشأن قضايا المسلمين؛ في مسيرة الحياة ٢/١٤٣- ١٥٢، ٢٦٤، ٣/١٩٣، ومن ذلك حواره وحديثه مع رئيس الوزراء الهند (نرسمها راؤ) عام ١٩٩٣م واستعراضه معه الوضع السائد في البلاد بصفة عامة، والاضطرابات الطائفية، وآثارها الخطيرة، انظر : في مسيرة الحياة ٣/٢١٠.
٢٣٥- انظر: في مسيرة الحياة ١/٢١٤.
٢٣٦- في مسيرة الحياة ١/٢١٤ .
٢٣٧- انظر : سعيد الأعظمي الندوي؛ سماحة العلامة..؛ الشيخ أبو الحسن، «.. بحوث ودراسات» ص١٣١ .
٢٣٨- انظر: في مسيرة الحياة ١/٢٩٠.
٢٣٩- انظر السابق ٢/١٧ .
٢٤٠- انظر السابق ٢/١٨ .
٢٤١- انظر السابق ١/٢١٥ .
٢٤٢- انظر السابق ١/٢٤٣-٢٤٤ .
٢٤٣- انظر السابق ١/٢٥٩-٢٦٠ ، وفيه تفاصيل عن الحديثين .

٢٤٤- انظر السابق ١/٢٩٠.
٢٤٥- انظر السابق ٢/٢٠-٢١ .
٢٤٦- انظر السابق ٢/٣١ .
٢٤٧- انظر : في مسيرة الحياة ١/١٤٧-١٤٨ .
٢٤٨- تحقق إكمال ذلك فيما بعد ، متمثلاً في كتابه «الأركان الأربعة»، انظر : في المسية ١/١٤٨ .
٢٤٩- انظر السابق ١/٢٦٤.
٢٥٠- انظر السابق ١/٣٨٠ .
٢٥١- مثل : (مبادئ دراسة القرآن وأصولها باللغة الأردية، والأدعية النبوية وبلاغتها بالأردية، والصراع بين الإيمان والمادية : تأملات في تفسير سورة الكهف بالعربية، انظر : مقدمة محمد الرابع الندوي؛ كتاب روائع من أدب الدعوة للندوي، ص٩ .
٢٥٢- انظر: محمد الرابع الندوي السابق، ص١٠ . وكان ألقى تلك الدروس ابتداءً من ذي القعدة ١٣٩٩هـ الموافق ١٦ أكتوبر ١٩٧٩م .
٢٥٣- انظر : أبو الحسن ؛ روائع من أدب الدعوة في القرآن والسيرة، دمشق ، دار القلم ، بيروت ، الدار الشاملة، الطبعة الأولى ، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م .
٢٥٤- ص ١١-٢١ .
٢٥٥- ص ٢٣-٣٣ .
٢٥٦- ص ٣٥-٥٢ .
٢٥٧- ص٥٣-٦٩ .
٢٥٨- ص٧١-٨٩ .
٢٥٩- ص٩١-١٠٨ .
٢٦٠- ص ١٠٩-١٢٩ .
٢٦١- ص١٠٩-١٢٤ .
٢٦٢- ص١٢٥-١٢٩ .
٢٦٣- ص١٣٠-١٤١ .
٢٦٤- انظر: منجد مصطفى بهجت؛ النقد المعياري ..، مجلة الأدب الإسلامي العدد الخاص بالشيخ ص٥٧.
٢٦٥- الندوي، في مسيرة الحياة ١/٨٠.
٢٦٦- انظر السابق ١/٨١ .
٢٦٧- انظر السابق ١/٨ .
٢٦٨- هذه العبارة لمحمد رجب البيومي في مقاله عن سيرة أبي الحسن .
٢٦٩- محمد رجب البيومي، أبو الحسن الندوي.. الشيخ أبو الحسن.. «بحوث ودراسات» ص ١٣ .
٢٧٠- عام ١٩٣٠م وقد نشره أبو الحسن فيما بعد مستقلاً في رسالة بعنوان«ترجمة السيد الإمام أحمد ابن عرفان الشهيد» عام ١٣٥٠هـ .
٢٧١- محمد رجب البيومي ، السابق ص١٣ .
٢٧٢- في مسيرة الحياة ١/١٠٠ .
٢٧٣- انظر السابق ١/١٢٥ .
٢٧٤- سيرة أحمد الشهيد ، ص٥٤. وهو أول كتاب ظهر له بالأردية عام ١٩٣٧م ، ونال قبولاً في الأوساط العلمية الدينية في الهند وباكستان. انظر : سيد عبد الماجد الغوري، مقدمة المدخل إلى الدراسات القرآنية ، ملامح... ص٨ .
٢٧٥- في مسيرة الحياة ١/١٢٦-١٢٧.
٢٧٦- انظر: منجد مصطفى بهجت؛ النقد؛ النقد المعياري .. «مجلة الأدب الإسلامي» ، العدد الخاص ص٥٧. وانظر في مسيرة الحياة ١/١٤٢.
٢٧٧- انظر : منجد مصطفى بهجت ، السابق ٥٧.
٢٧٨- انظر السابق ص٥٧. ومن مقالاته التي نشرت عام ١٣٥٨هـ «مشاهدات وانطباعات في مجلة الفرقان ومجلة الندوة» انظر في مسيرة الحياة ١/١٦١ .
٢٧٩- انظر السابق ١/١٧٠ .
٢٨٠- انظر السابق ١/١٧١ .
٢٨١- انظر السابق ١/١٧١ .
٢٨٢- انظر السابق ١/١٧٣ .
٢٨٣- انظر السابق ١/١٧٤-١٧٦ .
٢٨٤- صدر منه عدة طبعات قاربت العشرين أو تكاد، وحظي بمقدمات عديدة أساتذة كبار من مثل أحمد أمين الذي يبدو أنه كتبها دون أن يقرأ الكتاب، ثم محمد يوسف موسى وسيد قطب وأحمد الشرباصي .
٢٨٥- محمد رجب البيومي ، أبو الحسن .. الشيخ أبو الحسن .. «بحوث ودراسات» ص٧-٩ .
٢٨٦- في سبتمبر ١٩٤٨م . وكان يذكر على الغلاف اسم الشيخ واسم الشيخ عبد السلام الندوي.
٢٨٧- انظر : في مسيرة الحياة ١/١٨١-١٨٢ .

٢٨٨- انظر السابق ١/٢٠٤-٢٠٥ .
٢٨٩- كان ذلك في شوال ١٣٦٧هـ / أغسطس ١٩٤٨م.
٢٩٠- انظر السابق ١/٢٠٦-٢٠٧ .
٢٩١- انظر السابق ١/٢٢٧-٢٢٨ .
٢٩٢- في مسيرة الحياة ١/٢٢٧. نشر في مجلة الرسالة، السنة التاسعة عشرة ص ٢٢٦، ونشر أثناء إقامته في مصر ثلاث مقالات أخرى هي : «المد والجزر في تاريخ الإسلام» و«شاعر الإسلام محمد إقبال» و«بين العالم وجزيرة العرب» .
٢٩٣- انظر السابق ١/٢٤٤ .
٢٩٤- انظر السابق ١/٢٥١-٢٥٢ .
٢٩٥- انظر السابق ١/٢٥٢ .
٢٩٦- ظهر المجلد الأول في أكتوبر ١٩٥٤م والثاني عام ١٩٥٧م، والثالث في عام ١٩٦٢م والرابع ١٩٨٠م، وكانت بالأردية ، وترجمت إلى الأجزاء (١، ٢ ، ٣) إلى العربية، وترجمت الأربعة كلها إلى الإنجليزية ثم صدر بعد ذلك المجلد الخامس .
٢٩٧- طبع عام ١٩٦٥م بدار الفكر ببيروت، ثم طبع عام ١٩٦٨م بدار القلم بالكويت مع زيادات وتنقيحات. كما صدر له طبعة ثالثة، وله طبعات بالأردية ، وطبع بالإنجليزية باسم " Western Civ-ilization - Islam and Muslims"
٢٩٨- انظر السابق ١/٣١٤ .
٢٩٩- انظر السابق ١/٣١٥ .
٣٠٠- انظر السابق ١/٣١٦ . وصدر له ثلاث طبعات، آخرها صدرت من «المختار الإسلامي» بالقاهرة .
٣٠١- سورة الرعد ، الآية : ١٧ .
٣٠٢- انظر السابق ١/٣٣٣ .
٣٠٣- انظر السابق ١/٣٧٩ .
٣٠٤- انظر السابق ١/٣٧٩ .
٣٠٥- نشر من قبل مجلس الوحدة والاستحكام لعموم الهند فرع لكهنؤ ، بصورة رسالة مفردة ، وأعدّ له ترجمة بالإنجليزية والهندية.
٣٠٦- انظر السابق ١/١٤٦.
٣٠٧- انظر السابق ١/١٤٩-١٥٠ .
٣٠٨- انظر السابق ٢/١٩١-١٩٢ .
٣٠٩- السابق ٢/١٩٣. وقد نشر الكتاب أولاً بالأردية أوائل عام ١٩٨٥م ثم نقل إلى العربية بعنوان «صورتان متضادتان» عند أهل السنة والشيعة الإمامية ، ونقل إلى الإنجليزية بعنوان « Islam and the Earliest Muslims two Con-flicting» .ثم صدرت له طبعات متعددة في لغات مختلفة .
٣١٠- انظر السابق ٢/١٩٤. وقد كتب الشيخ عام ١٩٥٨م في موضوع القاديانية ، ونال كتابه شهرة وقبولاً، وأشار الشيخ أن «إنكار ختم النبوة قدر مشترك بين القاديانية والشيعة» انظر : في مسيرة الحياة ٢/١٩٦. وانظر صورتان متضادتان ص٨٢-٨٧ .
٣١١- انظر السابق ٢/٢٣٨-٢٣٩. ألفه باللغة العربية «اللغة التي يؤثرها لتأليفه المهمة» من ١١ رجب ١٤٠٨هـ ١/ مارس ١٩٨٨م، وكانت نهاية الكتاب في ١٤ شوال ١٤٠٨هـ/ ١٣ مارس ١٩٨٨م . ونقله عبد الله عباس الندوي إلى اللغة الأردية، وقام بإخراجه ونشره «المجمع الإسلامي العلمي» في ندوة العلماء وجاء في ٤٦٤ صفحة.
٣١٢- انظر السابق ٣/٥٢ ، وقد بعثه إلى الملتقى الفكري بالجزائر المقرر عقده في أغسطس ١٩٨٩م ، ولكنه لم يتمكن من المشاركة لعدم حجز مقعد ولأسباب صحية.
٣١٣- انظر السابق ٣/٥٢، وقد أرسله إلى صحف كثيرة ومجلات مختلفة، ونشر في كثير منها، وقد نقل هذا المقال إلى الإنجليزية.
٣١٤- انظر السابق ٣/٨٥، وكانت بالعربية، وطبعت في مطبعة ندوة العلماء .
٣١٥- انظر السابق ٣/٨٨. نشرت في صحيفة «تعمير حياة» الأردية، وقام قسم الدعوة والإرشاد لندوة العلماء بطبعها . وانظر ٣/١٣٩.
٣١٦- انظر السابق ٣/١١٠ .
٣١٧- انظر السابق ٣/٢٦٩ .
٣١٨- العدد الثامن من السنة الثالثة ص٤٣ وما بعدها . كان يصدرها سعيد رمضان ونشر فيها عام ١٩٥٣م روايات تاريخية في أسلوب قصصي وذلك في عددي يناير وفبراير.
٣١٩- انظر كتاب: نظرات في الأدب ص٢١.
٣٢٠- عدد ٤٩-٥٢ ، ١٤١١هـ، ص٩ .

٣٢١- عدد جمادى الأولى وجمادى الآخرة ، ١٤١٣هـ ، ص ٩ .

٣٢٢- انظر: ملامح من حياة العلامة .. بقلم سيد عبد الماجد الفوري؛ المدخل إلى الدراسات القرآنية ص٨-١٠ .

٣٢٣- انظر : عمير الحسيني ، الشيخ أبو الحسن .. «بحوث ودراسات» ص ٤٤٩-٥٥٠ .

٣٢٤- انظر : من مؤلفات سماحة الشيخ أبي الحسن الندوي باللغة العربية ، الشيخ أبو الحسن ... «بحوث ودراسات».. ص٥٥١-٥٥٥.

٣٢٥- انظر : عبد الحليم عويس ، الشيخ أبو الحسن وقضايا الأمة العربية، الشيخ أبو الحسن ... «بحوث ودراسات» ص١٠٥. وانظر: الشيخ أبو الحسن : رسائل الأعلام ، دار الصحوة بالقاهرة ، ١٤٠٥هـ ، ص١٨٣ وسواها .

٣٢٦- انظر: محمد اجتباء الندوي، منهج سماحة الشيخ ، الشيخ أبو الحسن، بحوث ودراسات ص ٤١١.

٣٢٧- انظر: محمد واضح الندوي، المنهج السياسي ..؛ الشيخ أبو الحسن.. بحوث ودراسات ص١٣٥.

٣٢٨- انظر: في مسيرة الحياة ١/١٩٦.

٣٢٩- السابق ١/٢٩٥، وانظر : ص٢٩٦ وانظر: رسائل أوروبا ص٣٩-٤٠ وص ٥٥-٥٦ . وقد نشرت في أردو تلك الرسائل بعنوان «مكاتيب يورب» "أوربا" من مكتبة الإسلام ، لكهنؤ.

٣٣٠- السابق ١/٢٩٥، وانظر : ص٢٩٦ وانظر: رسائل أوروبا ص٣٩-٤٠ وص ٥٥-٥٦. وقد نشرت في أردو تلك الرسائل بعنوان «مكاتيب يورب» "أوربا" من مكتبة الإسلام ، لكهنؤ.

٣٣١- انظرها في مجموعة «رسائل الأعلام» ومثل ذلك الرسائل المتبادلة بينه وبين العاملين في مجالات العلوم والدعوة في مصر ، انظر: في مسيرة الحياة ٣/١١٥ .

٣٣٢- بتاريخ ٦ شوال ١٣٦٨هـ الموافق ١٣ أغسطس ١٩٤٩م .

٣٣٣- في مسيرة الحياة ١/٢١٠ .

٣٣٤- انظر السابق ص١٩٧-٢٠٢ ، نشر هذه الرسالة بتعديلات يسيرة بعنوان «بين الجباية والهداية» في رسالة مستقلة ، ثم نشرت ضمن مجموعة مقالاته التي نشرت بعنوان «إلى الإسلام من جديد» ، نشر دار القلم بدمشق.

٣٣٥- كتبها في سبتمبر ١٩٥٠م انظر السابق ١/٢١١-٢١٣ وفيه مقتطفات منها .

٣٣٦- وقد نشروها بصورة رسالة مستقلة، مما يدل على سعة الأفق ورحابة الصدر، وقدّم الطبعة الأولى الشيخ محمد الغزالي ، وقدّم الطبعة الثانية المرشد العام محمد مأمون الهضيبي - رحمهم الله جميعاً - .

٣٣٧- انظر السابق ١/٣٦٥-٣٦٩ . وانظر خطاباً تاريخياً آخر ، السابق ٢/٦٣-٦٨. كما وجه رسالة مهمة إلى راجيف غاندي ١٠٥/٢ ، وقدّم له مذكرة مشتملة على الإصلاح والتعديل ، ٥١/٢ كما قدّم رسالة نصح إلى (نرسمها راؤ) في يوليو ١٩٩١م، ١٢١/٣ ، وكتب له رسالة أخرى رداً على رسالة (نرسمها راؤ) إلى أبي الحسن عام ١٩٩٢م ، انظر : ١٧٦/٣ ، ١٧٩-١٨١ .

٣٣٨- انظر السابق ١/٤٢٢-٤٢٣ ، وانظر طرفاً منها .

٣٣٩- انظر السابق ٣/٩٨-١٠٤، وانظر فيه الرسالة والرد عليها .

٣٤٠- انظر: في مسيرة الحياة ١/١٤٥.

٣٤١- انظر : محمد اجتباء الندوي ، الشيخ أبو الحسن .. ، مجلة الأدب الإسلامي العدد الخاص عن الشيخ، ص٦٦-٦٧ .

٣٤٢- انظر : في مسيرة الحياة ١/١٤٥-١٤٧ .

٣٤٣- انظر : محمد بن حسن الزير ، السيرة النبوية في أدبيات الشيخ ، الشيخ أبو الحسن ، بحوث ودراسات ص٤٥٧ .

٣٤٤- انظر : نصر عبد الله سلامة العتوم ، الشيخ أبو الحسن .. بحوث ودراسات ، ص٥٠١-٥٠٣ .

٣٤٥- انظر سيد أبو الرضا، ملامح قصة الأطفال الموجهة .. الشيخ أبو الحسن، بحوث ودراسات ص١١١-١٢٤ .

٣٤٦- انظر : قصص من التاريخ الإسلامي للأطفال ، وانظر : سيد أبو الرضا (السابق).

٣٤٧- سيرة خاتم النبيين - ط١٨- بيروت : مؤسسة الرسالة ، ١٩٩٣م ص٤.

٣٤٨- انظر: محمد اجتباء الندوي، منهج سماحة.. الشيخ أبو الحسن.. بحوث ودراسات ص٤٠٦.

٣٤٩- انظر القصة في كتاب «الطريق إلى المدينة» ، ص٨١-٨٤ .

٣٥٠- انظر : في مسيرة الحياة ٢/٤٢.

٣٥١- انظر السابق ١/٣٧٣ .

٣٥٢- انظر السابق ٢/١٢٦ .

٣٥٣- انظر السابق ٣/١٣١-١٣٢ ، وانظر القصة فيه، وهو يكررها مرة أخرى في المؤتمر التاريخي لرسالة الإنسانية ، انظر : في مسيرة الحياة ٣/٢٢٦-٢٣٠ .

٣٥٤- في مسيرة الحياة ٢/١٣٥-١٣٦.

٣٥٥- إذا هبت ريح الإيمان ص٥-٩ .

٣٥٦- الحسين العربي رحمون، منهج التراجم،... الشيخ أبو الحسن.. ، بحوث ودراسات ص٣٩٣. وانظر ص٣٩٢ .

٣٥٧- انظر السابق ص٣٨٣ ، وانظر : شخصيات وكتب للندوي ص١٥-٤١، وفي مسيرة الحياة ١/١٦١.

٣٥٨- انظر السابق ص ٣٨٦-٣٨٨ .

٣٥٩- أبو الحسن الندوي ، الشيخ أبو الحسن ،، بحوث ودراسات ص٢٧.

٣٦٠- كتبه بالأردية في خمسة أجزاء ، وترجم إلى العربية في ثلاثة أجزاء.

٣٦١- في مسيرة الحياة ١/٢٢ .

٣٦٢- مقدمة كتاب في مسيرة الحياة ١/٩ .

٣٦٣- انظر : منجد مصطفى بهجت، النقد المعياري .. الشيخ أبو الحسن .. بحوث ودراسات ص٥٧.

٣٦٤- انظر: في مسيرة الحياة ١/١٢٨.

٣٦٥- في مسيرة الحياة ١/١٢٨ .

٣٦٦- السابق .

٣٦٧- انظر : روائع إقبال ، طبعة المجمع الإسلامي العلمي لكهنؤ ، الهند ص١١-١٢ وفي مسيرة الحياة ١/١٢٨-١٢٩. وانظر أيضاً في مسيرة الحياة ٣/٢٥٠ -٢٥٢ .

٣٦٨- انظر : دور محمد إقبال في توجيه الأدب والشعر ، كتاب نظرات في الأدب ، دار النشر ، عمان، ١٤١١هـ ، ص١٠٤-١١٣.

٣٦٩- انظر : في مسيرة الحياة ٢/٢٢١-٢٢٤ .

٣٧٠- انظر : عبد الله بن صالح بن سليمان الوشمي؛ جهود أبي الحسن الندوي في تأصيل منهج الأدب الإسلامي، «رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في النقد ومنهج الأدب الإسلامي» ، كلية اللغة العربية، الرياض، ١٤٢٣هـ، ٦٠٩ صفحة .

٣٧١- هو كتاب مختارات من أدب العرب، عام ١٣٥٩هـ / ١٩٤٠م

٣٧٢- في مسيرة الحياة ١/١٤١-١٤٢.

٣٧٣- مختارات من أدب العرب ص ٧ .

٣٧٤- انظر السابق: وانظر : "نظرة جدية إلى التراث الأدبي العربي" ، نظرات في الأدب ص٢١-٣٥ .

٣٧٥- إذا هبت ريح الإيمان ، المقدمة ص١٠ .

٣٧٦- انظر : عبد القادر بن عيسى باطاهر ، ملامح الأدب الإسلامي.. الشيخ أبو الحسن .. بحوث ودراسات ، ص٥٠٠ .

٣٧٧- انظر: منجد مصطفى بهجت ، النقد المعياري .. ، مجلة الأدب الإسلامي، العدد الخاص عن الشيخ، ص٥٨ .

٣٧٨- انظر السابق ص ٥٨ .

٣٧٩- أبو الحسن الندوي ؛ نقلاً عن السابق ص٥٨ .

٣٨٠- نظرات في الأدب ص٥ .

٣٨١- انظر سمير عبد الحميد إبراهيم، الأدب الأردي الإسلامي، ص٦٥٧.

٣٨٢- مختارات من أدب العرب، ص١٥.

٣٨٣- مقدمة كتاب إذا هبت ريح الإيمان ص١٠ ، وانظر ص ٩ .

٣٨٤- في مسيرة الحياة ١/١٧١ .

٣٨٥- انظر : عبد الباسط بدر، مقدمة كتاب نظرات في الأدب ، ص٧ .

٣٨٦- علماء ومفكرون عرفتهم ١/١٤٦ .

٣٨٧- انظر : فوزية بريون، مجلة الأدب الإسلامي ، العدد الخاص عن الشيخ ، ص٢٢٤ .

٣٨٨- انظر : الأعظمي ، الشيخ أبو الحسن ، بحوث ودراسات ص١٣١.